

هيئة كتابة التأريخ

سلسلة الموسوعة
التاريخية الميسرة

حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي

د . فاروق عمر فوزي

وزارة الثقافة والاعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

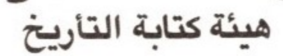
بغداد ١٩٨٨



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة

حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي

د . فاروق عمر فوزي

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٨٨

مقدمة :

إذا كانت النزعة العدوانية الفارسية قد عبّرت عن نفسها بحركات دينية اجتماعية أو حركات فكرية مثل الحركة الشعوبية والخرميّة خلال العصر العباسي الأول ، فان اكتفاءها بهذا القدر يعود الى قوة الدولة العباسية في عصرها الزاهر في العراق — إلّا ان السلطة المركزية العباسية في بغداد بدأت ومنذ حوالي منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تفقد سيطرتها من الداخل بسبب التدهور الاداري والسياسي وانعدام وجود جيش قوي مركزي تابع للخلافة وسيطرة القادة العسكريين الأتراك على زمام الأمور ، وهنا بدأت النزعة العدائية الفارسية تعبّر عن نفسها بشكل أقوى وأكثر فاعلية فبرزت في بلاد فارس دعاوىٰ جديدة سياسية ودينية واقليمية واقتصادية معادية وبصورة مكشوفة لسلطة الخلافة في بغداد.

بل ان حكّام بلاد فارس لم يكتفوا بالانفصال عن الخلافة في بغداد والاستقلال في حكم اقاليمهم وإنما عبّروا وبصورة مكشوفة — كما سنلاحظ خلال البحث — عن النزعة العدائية وعن طموحات الفرس من احتلال العراق واحتلال عاصمة الخلافة العربية الاسلامية بغداد وتجريد الخليفة العباسي من كل سلطة فعلية — وبهذه الطريقة وحدها يكونون قد اشبعوا ادعاءات الفرس وعبّروا عن طموحاتهم بالكامل.

وبقدر ما يتعلّق الأمر بموضوع بحثنا — حول محاولات حكّام بلاد فارس احتلال العراق خلال العصر العباسي —

فقد جرت ما لا يقل عن عشر محاولات خلال المدة بين ٢٤٧ ــ ٦٥٦هـ/ ٨٦١ ــ ١٢٥٨م وهي مدة الثلاثة القرون الأخيرة التي شهدت ضعف الخلافة العباسية وتدهورها.

الصفّاريون والمحاولة الأولى لاحتلال العراق :

يعتبر الصفّاريون وزعيمهم يعقوب بين الليث أول أسرة فارسية تحدت بصورة جدية الخلافة العباسية في العراق. فقد قاد يعقوب الصفّار جيشه الدقيق التنظيم والعدة وزحف نحو بغداد سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٥م لاحتلالها والعبث بمقدرات الخلافة فيها.(١)

كان يعقوب الصفّار في بداية حياته صفّاراً إلا انه وقد نشأ في سجستان المعروفة بمحافظتها على التقاليد المجوسية والفارسية وصعوبة انتشار الاسلام فيها ، فضلاً عن كونه طموحاً تحرّكه أطماع شخصية وتراكمات عنصرية ، فقد استطاع أن يصل الى السلطة في سجستان متخذاً من شعار الحفاظ على الأمن والاستقرار في الأقاليم ومتبرقعاً كالعادة بالدين ليموّه على الناس أهدافه.. فكان شعاره « لا حكم إلا لله » !! كما اعتبر نفسه في البداية موالياً للخلافة في بغداد ومنفذاً لسياستها في محاربة الخوارج واللصوص وقطّاع الطرق.(٢)

لقد كان يعقوب الصفّار يدرك في هذه المرحلة حاجته الى العمل ضمن إطار الشرعية العباسية وضمان تأييد الخلافة لتحركاته... ولكن مالبث ان انكشفت أطماعه بعد أن ثبت

نفسه وبنى جيشه فبدأ يتوسع على حساب أقاليم الخلافة العباسية في مكران والسند وكابل وطرد والي العباسيين على اقليم فارس واحتلها. ومن الواضح ان ميوله التوسعية وأطماعه ازدادت مع ضعف الخلافة وكثرة النزاعات بين القادة العسكريين الأتراك في العراق. وقد غطت تحركاته العسكرية أقاليم واسعة في بلاد فارس فضلاً عن سجستان كلاً من مكران وفارس وخوزستان وطبرستان والسند وقد أكمل الصورة حين ادعى اتصال نسبه بملوك الفرس قبل الاسلام ، وهذا الادعاء ذو المغزى السياسي عارٍ عن الصحة ولكنه ينطوي على دلالات مهمة تتصل بتثبيت نفوذه على الأقاليم الفارسية الأخرى وتكشف عنصريته المعادية للخلافة وقيمها العربية الاسلامية الجديدة.[٣]

نجح يعقوب الصفَار في اكمال سيطرته على الأقاليم الفارسية الجنوبية والشرقية وخاصة بعد قضائه على سلطة الطاهريين الموالين للخلافة في خراسان. وحين سأله أمير خراسان عن موقف الخلافة من احتلاله لخراسان استل يعقوب سيفه وقال « هذا عهدي » ومعنى ذلك انه لا يعبأ بعهد الخليفة له بحكم خراسان ولا يهتم بالشرعية بل ان القوة وحدها هي التي تقرر حركة الأحداث !!

حاولت الخلافة استعمال أسلوب التفاهم ، التحذير والتهديد مع يعقوب الصفّار من أجل ردعه ، ولمّا لم ينفع ذلك أقرت بالأمر وجنحت الى السلم فأصدرت مرسوماً بتولية يعقوب على كل الأقاليم التي سيطر عليها بالقوة. وقد حمل المرسوم وفداً أرسل خصيصاً من بغداد ، إلا ان يعقوب

الصفّار رفض عرض الخليفة السخي وأعلن أمام الوفد وبوقاحة بالغة انه سيسير بجيشه الى بغداد.. وهناك في بغداد يقرر ما يريد !!

كانت الخلافة العباسية في عهد المعتمد مشغولة بحركة عارمة في منطقة البطيحة ، هي حركة الزنج ، وبحركة الخوارج في شمال العراق في اقليم الجزيرة الفراتية. ولهذا تجنبت فتح جبهة جديدة وبادرت بارسال وفود أخرى جديدة تحاول اقناع يعقوب الصفّار بالجنوح الى السلم والتفاوض ، ولكن بدافع من عقدته الفارسية الدفينة أصر على الحرب وصمم على خوضها.(٤)

اخترق الصفّار حدود العراق الشرقية شرقي البصرة قادماً من الأحواز ثم تقدم نحو واسط ودخلها ثم تقدم باتجاه بغداد حيث عسكر في (دير العاقول) على بعد خمسة عشر فرسخاً من بغداد ، على ان جيش العباسيين بقيادة الخليفة المعتمد وأخيه الموفق طلحة كان للفرس بالمرصاد ، وقد أثار قادة الجيش العباسي الحمية والنخوة بين الجند وربطوا مصير المعركة بمصير العراق والدولة..

« ما هو إلا ان تنتصروا أو تنهزموا فلا ترجع إليكم دولتكم ».

كما خاطب أحد قادة الجيش العباسي جند الصفّار قبل بدء المعركة فقال :

« يا أهل خراسان وسجستان ما عرفناكم إلا بطاعة السلطان (أي الخليفة العباسي).. وما نشك إلا ان هذا الملعون قد موّه عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب إليه

بالحضور. وهذا السلطان قد خرج لمحاربته ، فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه...».

ورغم ان هذا الخطاب لم يكن له استجابة آنية من جيش الصفّار الذي كان أغلبه من أهل بلاد فارس إلا ان أثره ظهر في قلة حماسة عدد لا بأس به من الجند وهربه من المعركة أو استسلامه بعد التحام الجيشين.

ابتدأ الفرس بالهجوم العام فشدت ميسرة الصفّار على ميمنة جيش العراق فتمكنت منها حيث انسحبت الميمنة ولكن الموفق أخ الخليفة بقي ثابتاً في مواقعه مما جعل جند الميمنة يتماسكون ويكرون راجعين الى مواقعهم حيث استعادوها من الفرس. وهنا كشف الموفق عن رأسه وردد اهزوجته انا الغلام الهاشمي.. وأمر بالهجوم العام لجيش العراق ، جيش الخلافة ، فكانت معركة ضارية وشرسة تخللتها هجمات طويلة من الجانبين. وقتل فيها عدد كبير من الطرفين. ثم كانت هزيمة الصفّار وجنده الفرس باتجاه اقليم فارس يتعقبهم جند العراق ، وقد استولى الجيش العراقي وأهل القرى على الكثير من أمتعة وذخائر الفرس.

استخدم الموفق في معركة دير العاقول أساليب حربية كانت من أسباب هزيمة الفرس فقد فجر نهر السيب فحاصرت المياه جيش الصفّاريين ، كما أضرم النار في معسكره وذخيرته فهاجت الخيول والبغال والجمال وولت الأدبار. ثم ان حضور الخليفة بنفسه وولي عهده الموفق زاد من المعنويات هذا فضلاً عن ان جند العراق كانوا يدافعون عن أرضهم وعن دولتهم.

لقد توهم يعقوب الصفّار ان احتلال العراق أمر سهل

وان العراقيين سيستلمون دون معركة ففي رواية تاريخية انه قـال : « لم أعلم اني احارب ولم أشـك في الظفـر وتـوهمت ان الرسل ترد إليّ » !!

والغـريب ان يعقوب الصفّـار على الرغم من انـدحاره في الحـرب وانسحابـه الى فـارس رفض عـروض الخـلافـة العباسية ببغداد في السلام فقد أجاب رسول بـغداد قائلاً :

« قـل للخليفـة... ليس بيني وبينـك إلا هـذا السيف حتى آخذ بثأري أو تكسرني فتفقرني ».[٥]

لقد مات يعقوب الصفّار بعد ذلك بقليل دون ان يحقق أحلامه العريضة بإقامة الدولة الفارسيـة التي تضم العراق ودون ان يرضي العقدة الفارسية بالقضاء عـلى الخلافـة رمز السلطان العربي ــ الاسلامي.

الزياريون والمحاولة الثانية لاحتلال العراق :

تعتبر أقاليم بلاد الديلم ، طبرستان وجرجان وقزوين ، ذات التضاريس الوعرة والمسالك الصعبة من أشـد الأقاليم في بلاد فارس مقـاومة لانتشـار الاسلام والحكم العـربي ــ الاسـلامي. فقد ظل أهـل طبرستـان متمسكين بتقـاليـدهم الفارسية وديانتهم المجوسية والتفوا حول الاصبهبذ أميرهم واعتبروه رمزاً لتحـديهم للخلافـة العربيـة الاسلاميـة ورغم ان هـذه الأقاليم كـانت قد خضعت اسميـاً للدولة العربيـة الاسلامية منذ عهد عثمان بن عفان لكنها ظلت تنتفض وتتمرد المرة تلو الأخرى.. وستظل ذكرى جيش مصقلة بن هبيرة الذي توغل في مضايق طبرستـان في عهد معـاوية بن أبي سفيـان

فحاصره العدو وسد عليه المنافذ ورماه بالصخور والنبال من فوق الجبال حتى استشهد مصقلة وعشرة آلاف من المسلمين هم ما معه من الجند.[٦] ستظل هذه الذكرى دليلاً على صلف الفرس ومقاومتهم الشديدة لنشر الاسلام وعدم وفائهم بالعهود والمواثيق.

لقد تعاون الاصبهبذ الطبرستاني مع أمراء المنطقة ضد الحكم العباسي.. ورغم ان المنصور استطاع ان ينتصر عليه ويجعل من طبرستان اقليماً ادرايـاً تابعاً للدولة العباسية فان الاصبهبذ المازيار بن قارن ثار ضد العباسيين في عهد المأمون والمعتصم وتعاون مع بابك الخرمي ومع الافشين. وقد تمكن المعتصم من أسره وصلبه مع حليفه بابك في سامراء بالعراق.[٧]

وقد انتشر في بلاد الديلم المذهب الزيدي وتكونت امارة زيدية في طبرستان ولكنها لم تلبث ان ضعفت وتقاسم اراضيها الامارات المجاورة وخاصة السامانية وكذلك الأمراء الديلم المحليون الطموحون أمثال مرداويج بن زيار الذي كان أحد قادة الجيش في الدولة الطبرية الزيدية ولكن الجو السياسي صفا له ، بعد مقتل منافسيه من القادة الكبار فنجح في لمِّ شعثِ الديالمة وكون له كياناً سياسياً سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م شمل أجزاءاً من طبرستان وجرجان والري.

وحين امتد نفوذ مرداويج الى الأحواز (خوزستان) كشف عن نواياه العدوانية وبدأ يفكر جدياً بالهجوم على بغداد وكان يعلن صراحة ودون تعتيم :

« أنا أرد دولة العجم وابطل ملك العرب ».

وكانت خطته اعادة دولة الفرس الساسانيين بعاصمتها في المدائن (طيسفون) وقد أمر بإعادة بناء إيوان كسرى كما كان في العصر الساساني ليجعله بلاطه ، وأعد تاجاً على غرار تاج الأكاسرة مزيناً بالياقوت. وأحيا تقاليد تقديس النار المجوسية في أعياد الفرس.[٨]

ولابد من أن نشير الى ان أمراء بني بويه الذين قدر لهم ان يحتلوا بغداد بعد حوالي إحدى عشر سنة من هذا التاريخ عاشوا في كنف مرداويج وتتلمذوا على يديه وتبنوا مواقفه المعادية للخلافة. إلا ان مرداويج بن زيار قُتل من قبل زمرة من جنوده سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م فانهارت طموحاته العريضة في اعادة دولة العجم والقضاء على الخلافة العباسية ببغداد.

البريديون والمحاولة الثالثة لاحتلال العراق :

البريديون أسرة من المغامرين الذين يبرزون على المسرح السياسي في حقب الضعف والانحلال ويبدو ان لقبهم يعود الى تقلّد جدهم وظيفة صاحب البريد بالبصرة. ولا نعرف الشيء الكثير عن أصلهم إلا ان بعض المؤرخين يشيرون الى أصلهم الفارسي أو اليهودي وقد نزحوا من الأحواز الى البصرة.[٩]

لقد برز من هذه الأسرة أبو عبدالله احمد وهو رئيس الأسرة الذي كوّن علاقات ودية مع الوزير ابن مقلة فعيّنه عاملاً على الأحواز. فانتهز الفرصة وجمع الأموال والرجال وكان يكشف نواياه بقوله :

« همت بالتغلب ووضعت في نفسي الأمرة وتدبير الرجال...».

ولكن أحوال ابو عبدالله البريدي وأخوته تقلبت حسب تقلب الأوضاع السياسية فقد طرده مرداويج بن زيار من الأحواز بعد استيلائه عليها سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م. وحينما عادت الأحواز الى الأمير ياقوت أعاد البريدي الى مكانته وأعطاه منطقة واسط وما حولها. ولكن البريدي خان حليفه وقتله بعد سنتين فقط ونهب أموال خزينة الأحواز لنفسه، كما قتل أخاه أبا يوسف البريدي واستولى على أمواله. واستغل كل هذه الأموال لجذب الجند المرتزقة فكوّن جيشاً قوياً يسنده. ولذلك تصفه إحدى الروايات بكونه « أحد دجالي الدنيا وشياطينها ».

وبما ان منطقته في الأحواز والبصرة وواسط منطقة أهوار ومستنقعات فقد استخدم زوارق صغيرة وكبيرة للمواصلات العسكرية وكوّن قوة بحرية فعّالة سميت « عسكر الماء ». وحين وصل نفوذه الى واسط هدد بغداد وبدأ يتوعد باحتلالها وهذا ما دعا امير الأمراء ابن رائق الى محاولة كسبه فأعطاه لقب وزير ولكن ذلك لم يقنعه بل أصرّ على احتلال بغداد وفرض قراراته على الخليفة وأمير الأمراء وتحرّك نحوها سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م.. وقد هرب الخليفة العباسي المتقي وأمير الأمراء الى الموصل لاجئين وطلبا حماية الحمدانيين. وقد تعرض أهل بغداد « للضرر والضرائب الغلاء »، كما نهب البريديون أموال أهل البصرة وواسط ما أكسب البريديون صفة قطاع طرق مغامرين وليسوا حكّاماً

اداريين.

على ان الاحتلال البريدي لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر ونيف شهدت المدينـة خلالهـا معارك بـين أهل بغـداد وجند البريديين بانسحاب أبي الحسين البريدي أمام جند الموصل بقيـادة ناصر الدولة الحمـداني الذي طرد البريـديين وأعـاد الخليفة المتقي الى بغداد ونصب نفسه أميراً للأمراء.

لم تدم إمارة البريديين طويلاً بعد هذا الانـدحار حيث ان دخـولهم في صراعـات مع البـويهيين وعُمـان والخلافـة استنزف طاقتهم المالية والعسكرية وقد استـطاع معز الدولة البويهي اسقاط آخر معاقلهم في البصرة على الخليج حيث هرب أبو القاسم البريدي سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م الى البحرين والتجأ الى القرامطة في هجر.

البويهيون والمحاولة الرابعة لاحتلال العراق :

البويهيون قوم من الديلم شمالي بلاد فارس ، وينتمون الى شعب شديد المراس. اهتم الساسانيون قبل الاسلام بضمه الى جيشهم. ولم تستطع الخلافة السيطرة فعلياً على بلادهم ، ولكن بعض العلويـين نجحوا في نشر الاسـلام عـلى المـذهب الزيدي بين فئـات من الديالمـة خلال العصر العبـاسي الأول. كمـا نجحوا في تـأسيس إمـارة طبـريـة في هـذه المنـطقـة. وقد تفككت هذه الامـارة بعد وفـاة الأمير الحسن الاطروشي مما فسح المجال أمام القادة الطموحين للظهور عـلى المسرح السياسي. وكان « ماكان بن كاكي » هو أحد هؤلاء القـادة ، وقد ظهر البويهيون لأول مـرة كجنود مقـاتلين في جيش هذا

القائد ثم تحولوا الى مرداويج بن زيار وهو مغامر آخر ، فعيّن أكبرهم وهو علي بن بويه حاكماً على مقاطعة الكرج في إقليم الجبال غربي إيران ، ولكن مرداويج وعلي بن بويه ما لبثا ان اختلفا مما أدى الى اعتصام علي في فارس.[11]

انفتح امام البويهيين مجال كبير بعد مقتل مرداويج بن زيار فقد استولى الحسن بن بويه على أصفهان وتقدم نحو الريّ واحتلها وسيطر على طبرستان وجرجان كذلك.

أما الأخ الثالث أحمد بن بويه فقد استغل ظروف الخلافة العباسية السياسية والاقتصادية السيئة وحاول ان يثبت نفوذه في الأحواز ثم حاول أخذ البصرة وواسط من البريديين ولكنه فشل المرة تلو الأخرى بسبب قوة الأمير توزون التركي الذي كبد أحمد بن بويه خسائر فادحة في الأرواح والعدة وخاصة في حرب سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م. وقد حاول احمد بن بويه أن يكسب الى جانبه البريديين أمراء البصرة وطلب منهم اعارته « عسكر الماء » أي القوة النهرية لمساعدته في الهجوم على جيش الخلافة ولكن البريديين رفضوا ذلك. وقد بدت الفرصة سانحة بعد موت توزون سنة ٣٣٤هـ حيث تشجع بعض أمراء المدن في الاتصال بأحمد بن بويه وساعدوه بالزحف على بغداد عن طريق الأحواز وواسط. وقد احتل أحمد بن بويه بغداد دون مقاومة تذكر واختفى الخليفة المستكفي بالله في البداية إلا انه ما لبث ان ظهر ورحب بأحمد بن بويه ومنحه لقب (معز الدولة) معترفاً بشرعية حكمه.

على ان فترة التسلط البويهي على مقدرات الخلافة وعلى العراق كانت تتسم بالقلاقل والاضطرابات والصراع المذهبي الذي شجعه معظم أمراء البويهيين. والأهم من هذا ان البويهيين أسسوا إمارة وراثية في قلب الخلافة في بغداد يسندهم بذلك جيش أجنبي معظمه من الديلم والترك. وغدت الخلافة مؤسسة شكلية لم يبق عليها البويهيون إلا لاعتبارات مصلحية وسياسية انتهازية. فهم لم يسقطوا الخلافة العباسية ويقيموا خلافة أو إمارة علوية خوفاً من انتقال السلطة الفعلية من أيديهم الى أيدي الخلفاء الجدد الذين سيدين لهم الجيش البويهي بالولاء. هذا من جهة ومن جهة ثانية من أجل الابقاء على ظاهرة التجزئة والتفكك في الأمة العربية الاسلامية من حيث وجود خلافتين عباسية في بغداد وفاطمية في القاهرة... ومعنى ذلك انقسام الأمة الى ولائين. وهذا يفسر عدم ولاء البويهيين للدولة الفاطمية بمصر رغم ان الطرفين في الظاهر على الأقل شيعة. هذا مع ادراكنا ان البويهيين زيدية (أو اثنا عشرية في رواية أخرى) وان الفاطميين اسماعيلية متطرفون[١١]

ومع ان البويهيين احترموا الخليفة العباسي وقدموا له فروض الطاعة في الظاهر وأثناء المراسم والاحتفالات والأعياد الرسمية فانهم في الواقع سلبوه كافة سلطاته السياسية والادارية وشاركوه في امتيازاته وشاراته.

واتصف معظم الأمراء البويهيين بسياستهم المذهبية فلم تعرف بغداد وبقية مدن العراق الأخرى فتناً مذهبية على نطاق واسع ومنظم مثل الفتن التي حصلت في هذا العصر

فقد تبنى البويهيون الاحتفال ببعض المناسبات الدينية وبصورة رسمية واقامة شعائر معينة أثناء الاحتفال لا تمت الى شعائر الاسلام ومبادئه بصلة بل انها كانت غريبة وشاذة بالنسبة للتقاليد الاجتماعية السائدة في العراق. وقد استفزت هذه المظاهر المؤيدة من قبل البويهيين أهل بغداد والمدن الأخرى وكانت سبباً في حدوث الفتن والاضطرابات العامة.(١٢)

لقد واجه البويهيون خلال حقبة احتلالهم بغداد العديد من أنواع المقاومة من العراقيين فقد ثار عمران بن شاهين السلمي في منطقة البطيحة بجنوبي العراق واستمرت ثورته ضدهم دون هوادة مما استنفد الكثير من جهودهم وعرقل خططهم في الخليج العربي... حتى أُجبر بهاء الدولة الابن الثالث لعضد الدولة ان يعترف بان اقامته في العراق مستحيلة فنقل مقره الى شيراز بفارس فكان ذلك اعترافاً — ولو متأخراً — من البويهيين بفشلهم في السيطرة على العراق وان مقرهم يجب ألا يكون في العراق بل في فارس.

كما واجه البويهيون مقاومة مماثلة من أمراء آخرين من العرب أمثال الحمدانيين في اقليم الجزيرة الفراتية والمزيديين في منطقة الفرات الأوسط وأمراء الخليج وخاصة عُمان.

إن حقبة التسلط البويهي على العراق تعتبر ، بالنسبة للفرس ، فرصة فريدة سنحت بها الظروف من أجل تطبيق سياسة الحقد والتخريب الفارسي في العراق. فقد ترك البويهيون الفرس العراق وقد خُرّب اقتصادياً وانهك عسكرياً وسياسياً وتفتت مذهبياً... وبهذا كان البويهيون خير ممثلين

لخطط الفرس العدائية تجاه العراق والخلافة العربية الاسلامية.

ولابد للباحث المتمعن في العلاقات بين الأمراء البويهيين الذين يحكمون مقاطعات في بلاد فارس والعراق ان يكتشف حالة العداء التي ظلت تتحكم في سياسة الأمراء البويهيين تجاه العراق رغم ان العراق كان يُحكم من قبل امراء بويهيين آخرين. فبويهيو فارس لم ينفكوا ينتهزون الفرص للهجوم على العراق !! وأبرز مثال على ذلك ما قام به عضد الدولة امير فارس الذي طمع في مركز ابن عمه بختيار بن معز الدولة في بغداد وهاجم العراق مرتين الأولى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م والثانية سنة ٣٦٦هـ/سنة ٩٧٦م. وفي المرة الأخيرة ازاح بختيار من امرة الأمراء وقتله وضم العراق وأقاليم أخرى في الخليج الى منطقة نفوذه التي شملت فارس وكرمان والريّ واذربيجان وطبرستان واصفهان وهمدان والجزيرة الفراتية.[١٣]

وليس هناك من تفسير لسلوك عضد الدولة البويهي تجاه العراق إلا المصلحة الشخصية والعقدة الفارسية العدوانية ومحاولة حل مشاكله الداخلية مع اهل سجستان وكرمان والجبال الذين لم يرتضوا حكم الديلم لهم عن طريق توجيه الجهود الى حرب عدوانية ضد العراق.

وهنا لابد من ان نلاحظ ان نصر بن سيار آخر ولاة الأمويين على خراسان أدرك بثاقب بصيرته هذه العقدة الفارسية العدوانية وصورها أدق تصوير في قصيدة له محذراً الخلافة الأموية من الفرس وعلى الرغم من انه كان يهدف

فيما قاله شنّ دعاية مشوشة لصورة الثورة العباسية بكاملها ، فان القصيدة ولا شك تنطبق على الجناح المتطرف في الدعوة العباسية وليس على كل أجنحة الدعوة ، وتنطبق على الفرس الذين شاركوا كذلك في الدعوة. يقول نصر بن سيار :[١٤]

قوم يدينون ديناً ما سمعتُ به
من الرسول ولا جاءت به الكتبُ
فإن تكن سائلي عن أصل دينهمُ
فانَّ دينهم انْ تقتل العربُ

ولهذا يقرر المؤرخ ارمجاني[١٥] حين يفسر موقف واحدة من هذه الامارات الفارسية وسياساتها بأنهم : « يمثلون حركة قومية فارسية في سياستهم وادارتهم وانهم قادوا التحدي الفارسي للحكم العربي الاسلامي. وبسبب هذه الروح فان الفرس ، رغم كونهم (جغرافياً) ضمن العالم الاسلامي ، ليسوا من العالم الاسلامي.. انهم يتطلعون بشوق الى ثلاثة عشر قرناً مضت حين كانت إيران غير مسلمة.. انهم فخورون بالزرادشتية ولا يبدون متحمسين للاسلام. بل ان قلوبهم ما تزال متعلقة بأطلال بيرسبولس (إصطخر) ».

فإذا كان الخط الذي سار عليه حكّام بلاد فارس خلال المدة الاسلامية يتسم بالعداء التقليدي للعراق والأمة العربية وللخلافة في بغداد.. فما بال الحكّام غير الفرس الذين قدر لهم ان يحكموا بلاد فارس بعد البويهيين مثل السلاجقة والخوارزمية والمغول الايلخانيين. ولماذا التزموا في سياساتهم بالعقدة الفارسية وحذو حذو الفرس في عدائهم للخلافة

في العراق. وهنا يلاحظ الدكتور شعبان[16] بأن هؤلاء الحكّام غير الايرانيين اتاحوا لسكان بلاد فارس مجال تأكيد سيطرتهم على سكان العراق وساعدوا في دعم الادعاءات الايرانية. والواقع ان هؤلاء الحكّام الترك لم يكونوا ليصبحوا حكّاماً لبلاد فارس ويدين لهم أهل فارس بالطاعة والولاء لو لم يلتزموا بالعقدة الفارسية.

السلاجقة يحتلون العراق من بلاد فارس :

السلاجقة من القبائل التي تقطن سهوب آسيا الوسطى (التركستان) بين نهري سيحون وجيحون. أما تسميتهم فتعود الى الزعيم الذي استطاع ان يوحد كلمتهم ويجمع شملهم بحيث لعبوا في تاريخ المنطقة دوراً حيوياً. وقد اصطدم السلاجقة بالغزنويين ودحروهم في موقعة (سرخس) ثم في موقعة دنداشقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م حيث ثبتوا أنفسهم في خراسان. وأعلن طغرك بك نفسه سلطاناً للسلاجقة وراسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله طالباً تأييده ضد الغزنويين والاعتراف به حاكماً على خراسان ذلك لان اعتراف الخليفة في بغداد يضفي الصفة الشرعية على حكم السلاجقة ويكسبهم قوة في صراعهم مع اعدائهم. بعد ان حصل طغرل بك على اعتراف الخلافة في بغداد به لم يتعجل الأمر وينقذ الخلافة من تسلط البويهيين الفرس... بل على العكس أراد ان يثبت سلطانه في بلاد فارس. وقد استغرقت هذه العملية عشر سنوات حتى سنة ٤٤٦هـ. حيث سيطر على خراسان وطبرستان وجرجان وخوارزم واذربيجان ثم أقاليم بلاد فارس الغربية. ونظم ادارة دولته معتمداً

على الفرس مستخدماً اللغة الفارسية لغة للثقافة. ولهذا لم يكن طغرل بك راغباً بأن يلعب دور المنقذ للخلافة بل دور المحتل المتعصب الجديد بعد ان سيطر سياسياً على بلاد فارس وتشبع بالنزعة العنصرية الفارسية وتقمص « العقدة الفارسية » في سياساتها المرتقبة تجاه الخلافة بالعراق.(١٧)

لقد كان الوضع السياسي والاقتصادي في العراق في أواخر أيام البويهيين مشجعاً لطغرل بك بالتقدم نحو بغداد وهذا ما فعله في المحرم من سنة ٤٤٧هـ/سنة ١٠٥٥م حيث اظهر انه يريد مكة من أجل الحج ثم ليعبر من هناك ليقضي على الخلافة الفاطمية بمصر. ولكنه ما أن وصل حدود العراق الشرقية حتى عرَّج نحو بغداد واحتلها واعتقل الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين وسجنه في الريّ حتى مات.(١٨)

رغم ان السلاجقة يختلفون عن البويهيين في مظاهر رئيسية في السياسة العامة إلا ان علاقتهم بالخليفة العباسي ومؤسسة الخلافة في العراق لم تختلف في جوهرها عن العلاقة البويهية بالخلافة. فقد سلب السلطان السلجوقي سلطات الخليفة السياسية والادارية وكذلك شاركه في امتيازاته بل أكثر من ذلك تجرأ على طلب الزواج من أميرات من البيت العباسي كما فعل طغرل بك وملكشاه. واستمر المقر الرئيس والدائم لسلاطين السلاجقة في بلاد فارس فقد اتخذ طغرل بك من نيسابور بخراسان مقراً واستقر سلاطين السلاجقة في مدن إيرانية أخرى. كما اعتمدوا في وزارتهم ودواوينهم على الموظفين الفرس. وكانوا عاملاً في إحياء اللغة والثقافة الفارسية في الادارة والبلاط بسبب استقرارهم في إيران

وازدهار بلاطهم هناك.[١٩]

لقد خاض الخلفاء العباسيون في بغداد صراعاً دموياً من أجل انهاء السيطرة السلجوقية على العراق وقد مرت الخلافة العباسية بمرحلة من النهوض والانتعاش المؤقت لمدة تزيد على الأربعين عاماً بين ١١١٨ ــ ١١٦٠م ، ٥١٢ ــ ٥٥٥هـ وكان السلاطين السلاجقة في صراع عنيف بينهم من أجل النفوذ ولذلك استغل الخلفاء العباسيون هذا الصراع من أجل استقلال العراق والخلافة العباسية. وقد أدرك السلطان سنجر السلجوقي بخراسان خطط الخليفة المسترشد العباسي فكتب الى السلطان محمود السلجوقي بالعراق يحذره من الخليفة قائلاً :

« إن الخليفة قد عزم على ان يمكر بي وبك فإذا اتفقتما عليَّ فرغ مني وعاد اليك فلا تلتفت اليه ».

إلا ان عزم الخليفة المسترشد في الاستقلال بالعراق مهما كلفه الأمر والمحافظة على ما استعادته الخلافة من كرامة دفعته الى تقوية الجيش وصد هجوماً قام به بعض الأمراء المتحالفين مع سنجر السلجوقي سلطان خراسان على بغداد وانتصر عليهم. وضم الموصل وتكريت الى نفوذ الخلافة الفعلي ، وكانت جهوده مثمرة حيث برهن للسلاجقة في بلاد فارس ولأول مرة منذ بداية العصر السلجوقي ان العراق لم يعد ضمن دائرة سلطانهم. ولذلك بدأ أمراء السلاجقة البارزين أمثال سنجر ومسعود يحاولون التودد إليه.[٢٠]

ويبدو ان الانتصارات التي حققها الخليفة المسترشد قد جعلته يندفع أكثر مستعجلاً انهاء النفوذ الأجنبي السلجوقي. فقرر الخروج من بغداد الى بلاد فارس لضرب السلطان مسعود بعد ان وعده عدد من أمراء الأطراف بالمساعدة إلا ان الخليفة لم يدرك ان هؤلاء الأمراء السلاجقة الذين انخرطوا في جيشه سيخونونه في اللحظة الحاسمة ، فلم يبق معه غير جند العراق القليلي العدد والعدة فخسر المعركة وقُتل من قبل السلطان السلجوقي مسعود ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م. وأُشيع بان الباطنية النزارية اغتالته.!![٢١]

وكان الخليفة الراشد اعجز من ان يقاوم السلاجقة الذين ضيقوا عليه الخناق فهرب الى الموصل ومن هناك الى اصبهان حيث قتله أعوان مسعود السلجوقي. وأُشيع مرة أخرى بأن الباطنية اغتالته !!

أما الخليفة الجديد المقتفي لأمر الله فكان أكثر قابلية ودهاءاً من سلفه. وقد استعمل نفوذه الديني سلاحاً قوياً ضد السلاجقة. فحين اختلف مع السلطان مسعود أمر بغلق المساجد ثلاثة أيام مما اضطر شحنة بغداد السلجوقي الى الاستجابة لمطالبه. كما رفض طلب السلاجقة بجباية الأموال من الناس واستطاع ان ينشأ جيشاً نظامياً في بغداد تابع للخليفة مباشرة وكان هذا انجازاً كبيراً بالنسبة للظروف السائدة آنذاك. واستطاع المقتفي ان يوسع نفوذه ليشمل الحلة والكوفة وواسط والبصرة وتكريت. وصمد لمحاولة أخيرة

من الأمير محمد شاه السلجوقي لاحتلال بغداد فكان فشل محمد شاه سنة ٥٥٢هـ/ سنة ١١٥٧م بداية النهاية لحكم السلاجقة في العراق.[٢٢]

لقد استمرت الخلافة في تأكيد سلطتها السياسية والتحامها بجماهير الناس في العراق. وكانت الجماهير تقدر هذا الموقف الصادر من الخلافة تجاه العدوان السلجوقي المقبل من بلاد فارس ولذلك وقفت الجماهير وقفة رجل واحد حين حاصر السلطان محمد شاه السلجوقي بغداد. كما ساعدت بعض قبائل العراق والجزيرة الفراتية الخلافة في موقفها هذا. ان مكانة الخلافة في نظر هذه القبائل، رغم كل ما حدث، ما تزال محترمة فالخليفة عربي من بني العباس ولهذا فهو يمت بصلة النسب الى هذه القبائل التي لابد من ان تكون أقرب الى الخلافة العباسية منها الى السلطنة السلجوقية الأجنبية.[٢٣]

والواقع فان الخليفة القائم أثار هذا العامل حين استنجد بقريش بن مسلم العقيلي ضد السلاجقة فقال له:

« إن أمير المؤمنين يستذمك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله وذمام العربية ».

لقد سنَّ خلفاء هذه الحقبة سُنَّة حسنة وضربوا مثلاً رائعاً في البذل والفداء وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل استقلال العراق وانقاذ الخلافة من المغتصبين الدخلاء وقد تجاوب معهم الشعب حيث يشير مؤرخونا الى ان الانتفاضات عمت الريف والمدن خلال القرن الأول

من السيطرة السلجوقية بسبب التعسف في الجباية والتسلط السياسي الأجنبي حيث شهد العراق ما لا يقل عن ثماني انتفاضات بين ٤٤٧هـ ـ ٥٥١هـ ـ ثم ان قبائل الجزيرة الفراتية تحسست بالخطر السلجوقي وأدركت كل من الامارتين المرداسية في حلب والعقيلية في الموصل بأهمية التعاون ضد الغزو السلجوقي وفي هذا المجال عبر ساجق المرداسي عن وجهة نظره قائلاً لقبيلة بني كلاب :

« إنما أذب وأحامي عن بلادكم وعزكم ولو صار هذا البلد إلى تتش (السلجوقي) لزال ملك العرب وذلوا ».

وكتب التاريخ حافلة بأمثلة التعاون السياسي والعسكري بين الموصل وحلب لمجابهة السلاجقة الغزاة. وفي رواية لسبط ابن الجوزي كتب ساجق المرداسي الى مسلم بن قريش العقيلي يستنجده ضد السلاجقة ويقول فيها :

« أنت أولىٰ بي من الغير والعربية تجمعنا ».

لقد كان هدف مسلم العقيلي أمير الموصل اقامة دولة عربية إسلامية واحدة تضم الجزيرة الفراتية والشام وأجزاء من العراق. ثم اتحد مع الامارة المرداسية في حلب من أجل ان يخطو الخطوة التالية لتحرير دمشق من السلاجقة ولكنه لم ينجح في هذه الخطوة لعدم وفاء حكّام مصر الفاطميين بوعودهم مما أفسح المجال للسلطان ملكشاه السلجوقي للتقدم بنفسه نحو الموصل حيث احتلت سنة ١٠٨٤م/ ٤٧٧هـ ثم احتلت حلب سنة ١٠٨٦م/ ٤٧٩هـ وغدت المنطقة بأجمعها ضمن النفوذ السلجوقي[٢٤] وإذا كان الحلم الكبير الذي راود مسلم العقيلي بإقامة دولة الوحدة وإيقاف الخطر الأجنبي

لم يتحقق فان وقوع الوطن العربي تحت السيطرة السلجوقية ثم الصليبية قد أحدث تغيراً عميقاً في النفوس فظهرت قيادات جديدة بروح وثابة دفعت الجماهير نحو الوحدة ثم التحرير. فعادت الموصل واتحدت مع حلب ثم انضمت اليهما دمشق على يد نورالدين محمود وبانضمام مصر الى هذا الاتحاد على يد ابن العراق صلاح الدين الأيوبي زالت الكيانات الصليبية الواحدة تلو الأخرى.

وفي العراق تمكن الناصر لدين الله العباسي ان يقضي نهائياً على النفوذ السلجوقي سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م حيث قتل آخر سلاطين السلاجقة طغرل الثالث في بلاد فارس وأُزيلت المعالم السلجوقية كافة من بغداد.

الخوارزمية : محاولتان فاشلتان لاحتلال العراق :

في سنة ٥٧٥هـ/ سنة ١١٨٩م تقلد الناصر لدين الله زمام الخلافة في بغداد بعد وفاة أبيه المستضيىء ويعود إليه الفضل في انهاء النفوذ السلجوقي وتخليص العراق منه. ويختلف المؤرخون المحدثون في تقييم عهده الطويل الذي استمر حوالي سبع واربعون سنة حتى سنة ٦٢٢هـ/ سنة ١٢٢٥م فالدكتور حسين امين[٢٥] يؤيد رأي السيوطي بان الخليفة الناصر لدين الله من دهاة الخلفاء العباسيين له حيل ومكايد وخدع لا يفطن لها أحد. وهو الذي أنهى النفوذ السلجوقي في العراق وانصرف الى الأعمال العمرانية والثقافية وتوسيع نفوذ وسلطة الخلافة على الأقاليم التي فقدت من قبل. كما وانه استطاع من خلال نظام الفتوة

ان يزرع روحاً جديدة وثابة بين أمراء الأقاليم للوقوف ضد الطامعين وتحقيق أهداف الخلافة العباسية. أما المرحوم الدكتور محمد صالح القزاز[٣٦] فيرى عكس ذلك فالناصر وقع تحت تأثير استاذ داره ورجال بلاطه في سنوات حكمه الأولى واعتزل عن الناس في سنوات حكمه الأخيرة ، حتى ان وزيره لم يكن قادراً على الاجتماع به حتى أخبره الطبيب بأن الخليفة الناصر قد فقد بصره وان رجال البلاط والخدم يوقّعون الأعمال باسمه ، ووقعت في عهده حوادث جسام عجز عن معالجتها. ورغم طموحه بفرض سلطان الخلافة العباسية على الأقاليم المجاورة للعراق إلا انه اختار لقيادة جيشه رجالاً لا خبرة لهم بأمور الحرب. وحين فشل في الحرب عمد الى الخديعة وضرب أمراء الأقاليم بعضهم ببعض.

ولابد لنا من جانبنا ونحن نتحرى اعمال الخليفة الناصر ان نأخذ بعين الاعتبار الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت به وان نقوّم اعماله على ضوء ذلك. فالواقع ان الخليفة الناصر لم يدّخر وسعاً في استغلال المنافسة بين أمراء السلاجقة من أجل اضعاف النفوذ السلجوقي على أقاليم الخلافة العباسية. فقد هدم الناصر (دار السلطنة) في بغداد وهي رمز التسلط السلجوقي على الخلافة ورفض احتجاجات السلطان طغرل الثالث السلجوقي. وأكثر من هذا حرض أحد الأمراء السلاجقة قزل ارسلان ليتمرد ضد السلطان طغرل السلجوقي وأمده بقوات عسكرية مكنته من السيطرة على همدان. ثم استعان الخليفة الناصر

بخوارزمشاه علاء الدين تكش للوقوف في وجه طغرل السلجوقي مفوضاً إياه كل الأقاليم التي يسيطر عليها.

وقد أسرع تكش الخوارزمي لتنفيذ أوامر الخليفة الناصر وحسمت الحرب بين تكش الخوارزمي وطغرل السلجوقي لصالح الأول وأنهت النفوذ السلجوقي في بغداد سنة ٥٩٠هـ/ سنة ١١٩٣م. لقد شهد العراق عامة وبغداد خاصة حركة ازدهار وقوة خلال عهد الخليفة الناصر، فقد ابتهج الناس بزوال نفوذ السلاجقة عن العراق. كما اتسع نفوذ الخلافة العباسية فشمل كل العراق حيث وصل الى تكريت على دجلة والى داقوقا شرقي دجلة. كما استرد العراق الأحواز (عربستان) وكذلك اصفهان وهمدان وكانت هذه الأقاليم تبعاً للعراق أو للخلافة العباسية المركزية ببغداد في العصور العباسية المتأخرة.

ثم ان الخليفة الناصر العباسي أنشأ نظام الفتوة سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م ونشر من بغداد حاضرة العباسيين تعاليم الفتوة الناصرية وطالب أمراء الأطراف والأقاليم التقيد بها والعمل على نشرها بين رعاياهم. وقد جاءت فكرة التنظيم في أصلها من الآية الكريمة : « انهم فتية آمنوا بربهم..» وان أهدافها في الظاهر خلقية واجتماعية إلا ان ما قصده الخليفة الناصر هو بث عزيمة جديدة ونخوة قوية في نفوس شباب الأمة وقادتها الذين ينتمون الى التنظيم الجديد الذي يرأسه الخليفة بنفسه. والهدف الحقيقي هو انتشال الأمة من البؤرة التي وقعت فيها وجعلتها أمة مكسورة متخاذلة الى أمة قوية بعقيدتها ومعنوياتها تقدر على الوقوف على قدميها

ومجابهة الطامعين الذين تكالبوا عليها من الداخل والخارج.

لقد نجح الخليفة الناصر في تحقيق أهدافه كما حقق مكتسبات كثيرة للخلافة ذاتها التي أعيدت لها هيبتها وسيادتها ولو لمدة ليست بالطويلة.

الخطر من المشرق :

على ان مصدر الخطر على الخلافة العباسية وحاضرتها بغداد يظل على الدوام وفي كل عصور الخلافة من الشرق. فقد كان على الخلافة العباسية ان تواجه الحركات الخرميّة في بلاد فارس في العصر العباسي الأول ثم واجهت خطر الصفّارين والزياريين والبويهيين في العصور التالية. وفي هذا العصر ــ موضوع بحثنا ــ كان على الخلافة ان تجابه خطر السلاجقة وتحديات الحشيشية (النزارية) ثم الخوارزميّة.

ولقد أشرنا سابقاً الى ان الخليفة الناصر استعان بعلاء الدين تكش خوارزمشاه للقضاء على النفوذ السلجوقي في بلاد فارس. ويبدو ان خوارزمشاه هذا اعتبر نفسه وريث السلاجقة حيث سيطر على الأقاليم التابعة لهم وبذلك أصبح أكبر قوة بين أمراء المنطقة[٢٨] ــ ويبدو ان العديد من الحكّام الذين سيطروا على الأقاليم الفارسية يتأثرون بالبيئة ويغريهم الموقع الجغرافي فيدفعهم الغرور والكبرياء والطموح المتعالي الى الاستخفاف بالخلافة في بغداد والتفكير في الحصول على مكانة فيها وعلى موطىء قدم في العراق !! وهذا ما حدث لخوارزمشاه علاء الدين تكش الذي أساء استقبال وفد الخليفة ورفض أن يلبس خلع الخلافة وتعالى عليها. كما نازع الخلافة العباسية على الأحواز وطلبها لكي « تكون كفاية

لأتباعه » إلا ان الناصر رفض التنازل عن الأحواز ، بل أرسل جيشاً استرجع اصفهان وسير جيشاً آخر لاستعادة همدان. وأكثر من هذا فقد حاول الناصر الاستعانة بأعداء خوارزمشاه تكش من الأمراء الخوارزمية واتصل بالخزر وطلب منهم ان يتحركوا ليمنعوا تكش من دخول العراق. ثم كتب الخليفة الناصر الى غياث الدين الغوري « يأمره بقصد بلاد خوارزم ليعود (تكش) عن قصد العراق ».[٢٩] وهكذا نجح الناصر في خلق مشاكل عديدة واثارة الاضطرابات على حدود الخوارزميين الشرقية وبذلك أبعد الخطر الخوارزمي عن العراق ولو الى حين.

الهجوم الأول على بغداد :

إن خطر الغوريين على الخوارزميين أرجأ الهجوم الخوارزمي أكثر من عشرين سنة وخلال هذه المدة توفي علاء الدين تكش وأعقبه في حكم الامارة الخوارزمية ابنه علاء الدين محمد (٥٩٦/ ٦١٧ هـ). ولم يكن هذا الحاكم الجديد بأقل طموحاً من أبيه إلا ان مشاكله مع الثوار في الأقاليم الشرقية أرجأت تحركه نحو العراق.

بدأ خوارزمشاه علاء الدين محمد في التخطيط لتنفيذ طموحاته وطموحات أبيه من قبله في احتلال العراق واقامة الخطبة له في بغداد ومساجدها منذ سنة ٦٠٧هـ وقد طلب خوارزمشاه بصراحة من الخليفة الناصر لدين الله العباسي لا تخلو من وقاحة :[٣٠]

« أن يكون أمر بغداد والعراق لي (أي لعلاء الدين) ولا يكون لك (أي الخليفة) إلا الخطبة » !!

ولما رفض الخليفة الناصر هذا الطلب واستنكره أشد الاستنكار خاصة وان الناصر هو الذي أعاد للخلافة هيبتها ونفوذها واستعاد الأقاليم التابعة لها ادارياً.. لما رفض الناصر ذلك عمد خوارزمشاه علاء الدين الى اختلاق أنواع المبررات لتبرير شن حرب على العراق ، فأثار القلاقل والاضطرابات الداخلية حيث شجع مماليك الخلافة على التمرد داخل بغداد ولكن الخلافة سحقت التمرد. ثم دخل في مشكلة ولاية العهد بين الخليفة وابنه الظاهر. فقد رفض خوارزمشاه قرار الخليفة الناصر بعزل ابنه الظاهر عن ولاية العهد واستمر يدعو له في الخطبة قائلاً :[٣١]

« لم يثبت عندي موجب لعزله وجعل ذلك حجة لطروق العراق بالعساكر ليرد خطبته »!! فأي تدخل سافر ومفضوح في شأن من شؤون الخلافة العباسية وفي سياسة العراق الداخلية وفي مسألة تخص العباسيين ، ولكنها كما تقول الرواية بوضوح حجة لتبرير اجتياح العراق وغزو بغداد وتقرير ما يريد خوارزمشاه تقريره بعد دخوله بغداد.

وأكثر من هذا وذاك فقد جمع خوارزمشاه فقهاء وعلماء الأقاليم التابعة له وأمرهم باصدار فتوى بعدم شرعية الخلافة العباسية وان خلفاء بني العباس أهملوا أمر الجهاد ولم يتتبعوا أهل البدع والضلالة بالقمع. وبعد صدور الفتوى أمر خوارزمشاه باسقاط اسم الناصر من الخطبة والسكة.[٣٢] كما وان خوارزمشاه عمد الى إثارة الرأي العام الاسلامي ضد الخلافة العباسية بالعراق حيث نظم دعاية واسعة للتشهير بالخلافة معلناً انه عثر على رسائل من الخليفة الناصر فيها

تحريض للغوريين[٢٣] على مهاجمة خوارزمشاه مطالباً بعزل الناصر لأنه يقسم جماعة المسلمين ويحرض بعضهم على البعض الآخر !! فخوارزمشاه يبيح لنفسه مهاجمة الخلافة بالعراق ولا يسمح للخلافة بالاستعانة بحلفائها الغوريين لايقافه عند حده.

سار خوارزمشاه علاء الدين محمد بجيش جرار سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م نحو العراق مستهدفاً احتلال بغداد ولم تفد معه رسل الخليفة التي أرسلها لترده عن قصده وتنصحه بطاعة الخليفة.[٢٤]

اتخذ الخليفة الناصر جملة من الاجراءات لحماية العراق من الهجوم المرتقب وتمكن من كسب اتابكة اقليم فارس واذربجيان ضده كما وان الحشيشية المزارية الذين دانوا بطاعة الخلافة العباسية خلال هذه المدة ولمدة قصيرة من الزمن استطاعوا اغتيال (أوغلمش) عامله في غربي بلاد فارس وبهذا استطاع الناصر ان يكوّن حاجزاً بينه وبين خوارزمشاه.

ومع ذلك فقد فرّق الناصر السلاح وصرف الأموال للتحصين واقامة المتاريس حول بغداد ولكن خوارزمشاه لم يتمكن من دخول العراق حيث صادفته بعد تركه همدان عاصفة ثلجية عاتية أهلكت دوابه والكثير من رجاله المقاتلين. كما تعرضوا لغارات من السكان المحليين مما جعل خوارزمشاه مضطراً الى الانسحاب بالبقية من جيشه منهار العزيمة خائر القوى ، ويعلق ابن الأثير على ما حلَّ بالهجوم الخوارزمي على العراق قائلاً :

« وهذا من جملة سعادات هذا البيت العباسي لم يقصده أحدٍ بأذى إلا لقيه فعله وخبث نيته..».[٣٥]

وكان الأجدر بابن الأثير أن يضيف بان أهل العراق بما عرفوا به من قديم الزمان من التحلي بروح التصدي والمقاومة العنيدة للمحتل الغازي جعل خوارزمشاه يفضل الانسحاب على الاهانة التي لحقت بسلفه يعقوب الصفّار في معركة دير العاقول الشهيرة.. ان روح التضحية والبسالة التي أبداها أهل العراق والأقاليم الأخرى التابعة للخلافة العباسية حيث تشير بعض الروايات[٣٦] الى ان بعض الأهالي كانوا يتنكرون بزي الجند الخوارزمية ويهاجمونهم بدعوى انهم منهم مما جعل علاء الدين محمد الذين يأمر بقتل كل عراقي يتنكر بلبس قلنسوة خوارزمي !! هي التي أجبرت خوارزمشاه الى الانسحاب. وتجاه هذه المقاومة الباسلة للغزاة استعمل خوارزمشاه سياسة الشدة والارهاب في المناطق التي احتلها الى درجة ان أحد المؤرخين يصف سياستهم : « بأنها لم تحدث على أيدي الكفار.. وقد نزعت من قلوبهم رحمة الاسلام »[٣٧] ومما هو جدير بالذكر ان الخوارزمية لتبرير فشلهم في غزو العراق اتهموا الخليفة الناصر العباسي بالاتصال بالمغول وتحريضهم بالهجوم على حدود الامارة الخوارزمية الشرقية والقضاء على علاء الدين محمد. وقد لمّح المؤرخ ابن الأثير الى هذا الاتهام الخطير ونقله منه من جاء بعده من المؤرخين وفي رأينا ان هذه التهمة ضعيفة ولا تقوى أمام النقد الموضوعي للروايات[٣٨] وإذا كان الخليفة الناصر قد اتصل بأمراء بلاد ما وراء النهر فانه على ما يبدو

قد اتصل بخانات القرهخطاي وبالغوريين المسلمين لتحريضهم ضد الخوارزميين من أجل اعاقة زحفهم نحو العراق.

الهجوم الثاني على بغداد :

لم يكرر خوارزمشاه علاء الدين محمد محاولته لغزو بغداد حيث توفى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وخلف في حكم الخوارزميين ابنه جلال الدين منكبرتي وكانت سياسته معادية للخليفة الناصر العباسي حيث عمل كأبيه بكافة الوسائل لإسقاط الخلافة العباسية دون ان يدرك بأن الخطر المغولي بات على أبواب العالم الاسلامي.

يقول الدكتور القزاز : « ويظهر ان الحقد على الخلافة كان قد غلب على جلال الدين فملك عليه عقله »[٣٩] كما كان يعتقد بان الناصر كان سبباً في هلاك أبيه علاء الدين محمد فحين كتب الى الملك المعظم عيسى صاحب دمشق يحثه على التحالف ضد الناصر العباسي قال له :

« تحضر ومن عاهدني واتفق معي حتى نقصد الخليفة فانه كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار ».[٤٠]

ويبدو ان جلال الدين منكبرتي كان يحاول إيجاد الأعذار والتبريرات من أجل غزو العراق اتماماً لخطة أبيه ولما فشل في إيجاد حلفاء له بين أمراء المسلمين عزم على التقدم بنفسه نحو العراق فاستولى على اقليم الأحواز (عربستان) التابع ادارياً للخلافة المركزية في بغداد. ولكن منكبرتي فشل في احتلال عاصمة الأحواز آنذاك (تستر).

أرسل الخليفة الناصر جيشه لحرب جلال الدين منكبرتي في الأحواز وجرت المعركة في الأحواز سنة ٦٣٢هـ/

١٢٢٥م وانتصر منكبرتي على جيش الخلافة العباسية الذي انسحب نحو العراق ثم أعاد منكبرتي الكرة على تستر ولكن الجيش العباسي هناك صمد مدافعاً عن عاصمة الأحواز مما اضطر منكبرتي وجيشه الى دخول حدود العراق الشرقية فاصطدموا بالجيش المدافع عن البصرة الذي أوقع بهم الهزيمة ومنعهم من دخولها.[٤١]

إن فشل منكبرتي في احتلال أية مدينة مهمة في الأحواز وجنوبي العراق جعله ينهب ويدمر كل ما تقع عليه يده في القرى أو المزارع التي مرَّ بها فانتشر السلب والنهب واضطرب حبل الأمن وقطعت الطرق ونهبت القوافل على الطريق بين بغداد والبصرة.[٤٢]

اندفع منكبرتي شمالاً باتجاه بغداد وأرسل الى الخليفة الناصر رسولاً حمل رسالة الى دار الخلافة وصفها أحد المؤرخين بانها : « رسالة تعنت وتعتب »[٤٣] مما يدل على الحالة النفسية السيئة التي كان يعيشها. وحين أصبح على قاب قوسين أو أدنى من بغداد لم يهاجمها بل واصل سيره شمالاً وعسكر في بعقوبة.

أما الخليفة العباسي الناصر فقد استعد تمام الاستعداد للدفاع عن سيادة العراق وكرامة أبنائه وتأهب أهل بغداد أهل الصولات والجولات الذين دافعوا عنها ضد طاهر بن الحسين الفارسي وضد يعقوب الصفّار الفارسي وضد القادة الأتراك المتسلطين في سامراء... استعدوا للدفاع وأصلحوا السلاح وهيأوا النفط ونصبوا المجانيق على الأسوار. وفرَّق الخليفة الناصر المال والسلاح.[٤٤]

كما اتصل الخليفة الناصر بحاكم اربل زين الدين كوكبري وطلب اليه مهاجمة جيش منكبرتي وقطع خطوط تموينه ومواصلاته.

وتجاه هذه الظروف وادراك منكبرتي لاستعدادات العراقيين وخليفتهم الناصر انسحب منكبرتي شرقاً بعد ان أمضى ثمانية عشر يوماً في بعقوبة. وبعد ان نهب بعض القرى المحيطة ببغداد من أجل جيشه الذي قُطعت ميرته. كما هاجم منكبرتي داقوقا وحاصرها ثم فتحها وأباحها لجنوده الذين عاثوا فيها فساداً وقتلاً ونهباً وهكذا فشل الهجوم الثاني للخوارزمية الذين صمموا وبعناد شديد على احتلال بغداد بينما صمم أهل العراق وبثبات أقوى وعزيمة أصلب على الدفاع عن كرامة العراق وسيادته وبالتالي الدفاع عن مُثُل العروبة وقيم الاسلام المتمثلة بالخلافة. لقد أبعد جلال الدين منكبرتي بسياسته غير الحكيمة العديد من أمراء المسلمين والخليفة العباسي الذين باتوا يشكون في أهدافه التوسعية وأطماعه. ولهذا تُرك وحيداً في الميدان يجابه مصيره المحتوم أمام المغول الذين قضوا عليه سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م.

المغول يحتلون العراق :
٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م

عُرف المغول بأسماء مختلفة منها ، المغل ، والتتر وهي مسميات واحدة لشعب واحد يتكون من قبائل متعددة ويعتبرون جميعاً من الترك.. والمغول أهل بداوة يتنقلون في مواطنهم من مكانٍ الى آخر في وسط آسيا ويغيرون على الأقاليم المجاورة لهم ثم ينسحبون.(٤٥)

وقد بدأ احتكاك المغول بالعالم الاسلامي سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م حين احتكوا بدولة خوارزم(٤٦).. فكان غزوهم لأقاليم الخوارزمية كارثة كبيرة وغارة مدمرة لم تتوقف عند ما وراء النهر أو خراسان بل استمرت لتحطيم كل المشرق الاسلامي بما في ذلك العراق وبغداد حاضرة الخلافة العباسية وأجزاء من الجزيرة الفراتية وبلاد الشام وتمّ ذلك خلال أربعين سنة فقط من بدء تحرك المغول باتجاه العالم الاسلامي. حتى أوقفهم عند حدهم أهل الشام ومصر في موقعة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م.. لقد بدأ الغزو المغولي يهدد الخلافة العباسية والعراق منذ سنة ٦١٨هـ ، ولكن السد الذي وقف حاجزاً بين المغول والعراق هو الدولة الخوارزمية.. إلا ان جنكيز خان استطاع سنة ٦١٦هـ أن يحطم قوة خوارزمشاه علاء الدين محمد.. وعاد جنكيز خان الى بلاده حيث توفي هو الآخر سنة ٦٢٠هـ.. ويرى الدكتور جعفر خصباك ان خلاص الخلافة العباسية في العراق كان يتوقف على أمرين فإما تفقد الدولة المغولية قابليتها على الاندفاع والتوسع نتيجة الانقسامات والخلافات الداخلية وأما أن تتوحد الجبهة الاسلامية في المشرق لتقف أمام الخطر المغولي القادم.(٤٧)

ولقد كان بامكان الخلافة وأمراء الأطراف في المشرق الاسلامي ان ينتهزوا فرصة انسحاب المغول بقيادة جنكيز خان الى مواطنهم الأصلية سنة ٦٢٠هـ لكي يكونوا جبهة موحدة وقوة عسكرية موحدة تحسباً لهجوم مغولي جديد.. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث فان خوارزمشاه الجديد

جلال الدين منكبرتي انصرف الى محاربة أمراء المسلمين بدل المغول وحقد على الخلافة العباسية واعتبرها مسؤولة عن وفاة والده.. وهكذا غدت الدولة الخوارزمية دون حليف فتمكن المغول منها سنة ٦٢٨هـ وقتل جلال الدين وحيداً هارباً.

وفي المدة بين وفاة جنكيز خان وتولي منكوخان زعامة المغول سنة ٦٤٩هـ واصل المغول القيام بعمليات غزو مفاجئة وغارات متعددة ومتواصلة على المدن والأقاليم الممتدة بين خراسان وحدود العراق.. وكان هدفها السلب والتدمير وإثارة القلق والبلبلة واشاعة حالة من الفوضى من أجل جس النبض لقوة أمراء الأطراف وتحسس قوة جيش الخلافة ومدى تأثيرها على ملوك وأمراء الأقاليم الاسلامية الأخرى وقد وصلوا في حملاتهم هذه الى خانقين وداقوقا.. وعلى ذلك فان احتلال بغداد ونكبتها على يد المغول لا يمكن اعتباره حدثاً مفاجئاً باغت به المغول الخلافة العباسية بل ان الناس وأمراء الأطراف والمؤرخين والوعاظ كانوا يستغيثون منبهين الخلافة والحكّام على هول الخطر منذ ان انهارت دولة الخوارزميين.. على ان الزحف المغولي الذي جعل هدفه العراق هو زحف هولاكو (أخو منكوخان) الذي كُلف بقيادة الحملة الجديدة وتحرك من معسكره في قراقوم في سنة ٦٥١هـ ووصل أسوار بغداد في المحرم سنة ٦٥٦هـ بعد ان أسقط في طريقه قلاع الاسماعيلية الواحدة تلو الأخرى.

موقف الخلافة العباسية من الزحف المغولي :

تعرّض المشرق الاسلامي بما فيه بغداد حاضرة الخلافة العباسية ومركز العالم الاسلامي الى أقسى محنة يمكن أن يسجلها التاريخ ليس فقط من الناحية العسكرية بل السياسية والحضارية على حد سواء.. فلم يخسر المسلمون معركة أو معارك متوالية ضد العدو المغولي الوثني بل خسروا مادياً وبشرياً ما لا يمكن تعويضه ولذلك يقول ابن الأثير :(٤٨)

« ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا » ويؤكد نفس المؤرخ « ولقد بلي الاسلام والمسلمين في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ».

وقد سجل المؤرخون تحطيم المغول للحياة الثقافية والعلمية.. وإذا كانت اللغة العربية قد ظلت لغة الثقافة والعلوم حتى العصر الساماني أو قبله بقليل حتى بدأت اللغة الفارسية تشاركها في ذلك فان الغزو المغولي قد أضاع اللغة العربية حيث بطل استعمالها في بلاد فارس وربما اقتصر استعمالها على بعض المؤلفات الفقهية والكلامية.

ولكن مَنْ المسؤول عن هذه النكبة ؟ وما هو موقف الخلافة ؟ يقول الدكتور القزاز معللاً أسباب النكبة « ونحن إذا حاولنا أن نعلل أسباب هذا الانهيار السريع فاننا لن نتلمسه في قوة جيوش المغول وحتى تدريبها بقدر ما نرده الى ضعف الخلافة وتفكك أوصالها بحيث أصبحت عاجزة عن المقاومة.(٤٩)

والواقع اننا لا نستطيع ان نتبين سياسة واضحة للخلفاء المتأخرين في معالجة الوضع العام للخلافة ورغم ان المغول بدأوا يهاجمون (دار الاسلام) منذ سنة ٦١٦هـ وبصورة مستمرة لم يتخذ هؤلاء الخلفاء اجراءات جدية كفيلة بالتصدي

للخطر ولم يحاولوا توحيد جهودهم مع جهود أمراء الأطراف المسلمين عن طريق زرع الثقة المتبادلة والتعاون البنّاء.. بل على عكس ذلك لجأوا الى تحريض الأمراء على بعضهم البعض وهكذا كانت القوة الاسلامية تأكل نفسها بنفسها.

لم يتخذ المستنصر في سياسته لمجابهة الخطر سوى المهادنة والمصانعة والاسترضاء على حد قول السيوطي رغم ان موارده كانت كبيرة حيث ورث عن جده وأبيه أموالاً طائلة كان بمقدوره استخدامها في بناء جيش قوي للخلافة العباسية.

وكان آخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله ٦٤٠ — ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ ــ ١٢٥٨م اضعفهم عزيمة وأكثرهم تهاوناً بل كانت صفاته أبعد من أن تجعل منه رجل الساعة في الظروف الحالكة التي مرت بها الخلافة.. خاصة إذا علمنا بان اختياره لتولي الخلافة من قبل المتنفذين من رجال الادارة والبلاط كان بسبب ضعفه وعدم هيبته وانقياده فأرادوه رمزاً له لسلطة الاسمية ولهم الأمر والتدبير.

هذا فضلاً عن بخله الشديد بحيث ضُرب به المثل.. وفي رواية تأريخية[٥٠] ان صاحب ميافارقين حين خطب في الناس يحثهم على مقاومة المغول قال من جملة ما قال:

«.. فأنني والحمد لله لست كالمستعصم عبداً للدينار والدرهم الذي طوح برأسه ويملك بغداد بسبب بخله..»[٥١].. وربما كان هذا البخل سبباً في اعراضه عن بناء جيش قوي للخلافة العباسية وسبباً في هرب الجند والقادة من جيش الخلافة... والأكثر من هذا كله ضعف عزيمته وتهربه من مسؤولياته تجاه المسلمين ودار الاسلام فكان كلما ذكر بخطر المغول يقول:[٥٢]

«.. إن بغداد تكفيني ولا يستكثرونها عليّ إذا نزلت لهم عن باقي البلاد..». يضاف الى ذلك دور الوزير العلقمي الذي راسل المغول وتواطأ معهم وخفض جيش الخلافة. أما الجيش في بغداد فلم يحظ بعناية كبيرة من قبل الخليفة العباسي في السنوات الأخيرة بعد ان استعاد الخلفاء بعضاً من حريتهم في السيادة والسلطة.. فقد كان المماليك الأتراك او الجراكسة يسيطرون على الجيش ويتمتعون باقطاعات واسعة وكان رئيسهم في عهد المستعصم مجاهد الدين ايبك (الدويدار الصغير).. ورغم التهديدات المغولية المبكرة منذ سنة ٦١٨هـ حيث هوجمت مدن عراقية هي اربل وداقوقا فان الخلافة لم ترسل لنجدة صاحب اربل سوى ٨٠٠ مقاتل.. والغريب ان الناصر لم يدرك الخطر ولم يتدارك الأمر بل كان اعتماده اثناء الخطر على النفير العام وفتح باب التطوع واستنفار البدو من القبائل والاستعانة بأمراء الأطراف وما لديهم من جند.. ومن الواضح ان الاعتماد على الحلول الوقتية والاجراءات الآنية والاستنجاد بالغير لا يعتبر بأية حال من الأحوال سياسة عسكرية حكيمة من قبل الخلافة.

ورغم تكرار التهديدات والهجمات من قبل المغول خلال الثلاثين سنة الأخيرة قبل احتلال بغداد فان الخلافة استمرت على نهجها السابق وهي تجنيد الجند كلما دعت الحاجة الى ذلك ثم تسريحهم بعد زوال الخطر وقد دفع ذلك ، بطبيعة الحال ، الجند الى الهرب من جيش الخلافة بل ان بعضهم من الذين سرحوا ولم يجدوا عملاً انضموا الى جيش المغول. ومما زاد في اضطراب الادارة في بغداد أيام المستعصم

الوحشة القائمة بين الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وقائد الجيش مجاهد الدين ايبك (الدويدار الصغير).. وقد أدت العداوة هذه الى سيل من الاتهامات المتبادلة.. فاتهم الوزير ابن العلقمي قائد الجيش أيبك بالتآمر ضد الخليفة لخلعه وتنصيب الابن الأكبر مكانه.. بينما كشف قائد الجيش دور الوزير بالخيانة والاتصال بالعدو المغولي.. ووقعت بسبب ذلك فتن بين الجماعات المؤيدة للطرفين المتنازعين. ومما زاد الطين بلة التدهور الاقتصادي الذي حلَّ بالعراق في العصور العباسية المتأخرة وعلى الأخص في العقود الأخيرة من تأريخ الخلافة فقد أصابتها نكبات متلاحقة من فيضانات مدمرة الى سقوط البرد أو انقطاع المطر أو الجراد الى الهجرة الكبيرة من أطراف بغداد وأريافها ومدنها الى بغداد ولا يخفى ما تسببه هذه الظاهرة من قلة الانتاج الزراعي والمجاعات وغلاء الأسعار للمواد الغذائية وانتشار الأمراض وقد حفظ لها المؤرخون مثل ابن الأثير وابن الجوزي ثم ابن الفوطي الذي كمل اخبار ابن الأثير عن بغداد والعراق سجلاً مفصلاً عن هذه المظاهر الاجتماعية والاقتصادية ويستغرب ابن الأثير في تدهور الحالة فيقول معلقاً على الحالة الاقتصادية وارتفاع الأسعار :

« ولقد رأينا ما لم نرَ ولا سمعنا بمثله ».[52]

ولا شك في ان أمراء الأطراف كانوا أقوى مادياً وعسكرياً من الخلافة العباسية التي كانت لتوها قد نفضت عن كاهلها السيطرة السلجوقية فالخوارزمية في المشرق والأيوبيون في المغرب والأتابكة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية يتحملون

المسؤولية عن وقوع بلاد الاسلام تحت السيطرة الوثنية المغولية ذلك لأنهم لم يستطيعوا ان يرتفعوا الى مستوى الأحداث السياسية البالغة الخطورة.. فلا الملك العادل الأيوبي ولا منكبرتي ولا أتابكة الشام والجزيرة قد أفلحوا في جمع الشمل والتعاون لدرء الخطر المغولي.. بل ان بعضهم تهادن مع الصليبيين وتعاون مع المغول ودخل تحت حمايتهم وشارك الى جانبهم في (عين جالوت) ولكنهم لقوا عاقبة خيانتهم العظمى.[٥٤]

سقوط بغداد :

يتفق معظم المؤرخين المحدثين ان سقوط بغداد لم يكن مفاجئاً بل انه جزء من خطة مرسومة من قبل قيادة المغول للاستيلاء على الجزء الممتد من نهر جيحون الى النيل من دار الاسلام.. ولم تكن قوة المغول تلك القوة التي لا تُقهر فقد قاست من الهزيمة على يد الخوارزمية أكثر من مرة ولكن الخلافة العباسية وخاصة في عصر المستعصم كانت في أزمة تتمثل في خليفة ضعيف خائر العزيمة وفي قادة منقسمين تتنازعهم الأهواء والمصلحة الشخصية. ولقد بدأ المغول في الاتصال بالخلافة عن طريق الرسل والمراسلات ابتداء من سنة ٦٣٥هـ.. وحين استقر هولاكو في كش جنوبي غربي سمرقند راسل الخليفة المستعصم سنة ٦٥٣هـ وطالبه بالتعاون معه للقضاء على الاسماعيلية. إلا ان الحاشية لم يمكنوا الخليفة من الاتصال بهولاكو وشككوا بنواياه.. ثم ارسل هولاكو رسالة أخرى سنة ٦٥٥هـ ، بعد ان قضى على قلاع الاسماعيلية ، الى الخليفة العباسي عاتبه فيها

على عدم التعاون وذكّره بمصير الخوارزمية وهدده باحتلال بغداد.. ومرة ثانية انقسمت حاشية الخليفة على نفسها ففي الوقت الذي أشار فيه الوزير ابن العلقمي بضرورة بذل الأموال والهدايا لهولاكو اعترض قائد الجيش على ذلك واتهم الوزير بالتقرب من هولاكو.. وهكذا أسقط في يد الخليفة الضعيف الذي لم يفعل شيئاً إلا ارسال قليل من الهدايا الى هولاكو مع رسالة يعظه فيها ويذكّره بالمصير السيىء الذي تعرض له من أرادوا للخلافة السوء كما انه استغاث ببعض الموالين من أمراء الأطراف في بلاد الشام.

بعد ان فشلت المراسلات المتبادلة بين الخليفة المستعصم العباسي وبين هولاكو المغولي قرر هولاكو الاستمرار في زحفه نحو بغداد.. ولم تكن هذه الرسائل إلا شكلية لأن خطة هولاكو كانت مرسومة ومقرراً لها ان تنتهي في مصر كما أشرنا الى ذلك من قبل. وفي بداية محرم من سنة ٦٥٦هـ تحرك هولاكو من همدان باتجاه بغداد. أما الخليفة فأمر قائد جيشه مجاهد الدين ايبك بالخروج بجيش بغداد لمواجهة المغول وقد خرج بالجيش بالفعل وعسكر في جبهات بعقوبة.. ولكن هولاكو خطط للاطباق على بغداد من جميع جهاتها فأرسل جيشاً لتطويقها من الجانب الغربي بينما واصل هو زحفه باتجاه الجانب الشرقي.

لما سمع قائد الجيش العباسي بعبور طلائع المغول الضفة الغربية لدجلة أسرع فعبر النهر ليقابلهم في شمالي بغداد وحين خلت الجبهة الشرقية أمر الخليفة بعض القواد لملئها والتحصن فيها ولكن هؤلاء القادة لم ينفذوا أوامر الخليفة... مما سهل

وصول جيش هولاكو الى أسوار بغداد من الجهة الشرقية دون عائق يذكر.. وفي الجانب الغربي اشتبك جيش الخلافة مع المغول فخسر المعركة وقُتل وغرق منه عدد كبير من المقاتلين المسلمين.

أما هولاكو فقد ترك خانقين متوجهاً نحو بغداد حيث وصل اليها في أواسط العام من السنة نفسها وحاصر الجانب الشرقي منها وبدأ القتال في الجانب الشرقي في ٢٢ محرم حيث ركّز المغول هجومهم على برج العجمي المجاور لباب الحلبة. وفي الأول من صفر لم تعد قوات الخليفة تستطيع المقاومة ورغم الوفود التي أرسلها الخليفة لهولاكو فان هذا الأخير كان يصر على خروج الدويدار الصغير قائد الجيش ليأمن انتهاء المقاومة.. وقد خرج قائد الجيش اليه في الأول من صفر فأمره باخراج أتباعه خارج الأسوار ففعل... ثم أمر هولاكو الخليفة بالخروج في ٤ صفر فنفذ الأمر ثم أمره هولاكو ان يطلب من أهل بغداد القاء أسلحتهم ففعل.

وفي اليوم السابع من صفر سنة ٦٥٦هـ دخل جنود هولاكو بغداد(٥٥) واستباحوها نهباً وقتلاً مدة لا تقل عن سبعة أيام.. لم يُفرق فيها بين الرجال والنساء والأطفال وأعلنت بعض البيوت ملاجيء آمنة منها بيوت بعض التجار وبيت ابن العلقمي ودار صاحب الديوان ودار صاحب الباب.. وأُحرقت العديد من القصور والمراقد والمشاهد ، ثم أمر هولاكو بقتل الخليفة وابنه الأكبر والعديد من أهل بيته وحاشيته.. بعد ان أجبره على اخراج أمواله كافة الظاهر منها والمدفون ، وكانت أموالاً طائلة لم يعرف الخليفة كيف يستغلها

في وقت الشدة... وقبل رحيله عن بغـداد نظم هـولاكو ادارة العراق معتمداً على ابن العلقمي الذي أقره في الوزارة كما أقر آخرين من كبار موظفي المستعصم على دواوينهم وعين قاضياً للقضاة وأبقى في بغداد ٣٠٠٠ جندي مغولي لحفظ الأمن.. . وبذلك بدأ العهد الايلخاني وسقطت الخلافة العباسية.. وغدت بغداد « التي لم يكن لها في الدنيا نظير في جلال قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها » تحت سيطرة المغول الهمج !!

شمـل الحكم الايلخاني المغـولي العراق وبـلاد فارس وجزءاً من الأناضول وأمتدت دولتهم من نهر جيحون شـرقاً الى نهر الفرات غرباً.. وقد استقر إيلخـانات المغـول في بلاد فـارس واتخذوهـا قاعـدة لحكمهم وجعلوا مقرهم في تبـريـز ثم في السلطانيـة شمالي إيـران. ولا يسع المتمعن في تـاريخ الأحداث السياسية إلا ان يلاحظ تكرر الظاهـرة التاريخيـة السابقة التي شهدناها في العصر السلجوقي ثم الخـوارزمي وهي ان حكّاماً غير إيرانيين أو فرس ما أن يستقروا في بلاد فارس حتى يتقمصوا مركّب « العقدة الفارسية » فينتهجون سياسة معادية للعراق والعرب ويتيحون المجال للفرس لتأكيد حقدهم على العراق ودعم ادعاءاتهم وإيجاد متنفس لها.

فقد غدا العراق احدى ولايـات الدولة الإيلخانيـة بعد ان كان الاقليم المركزي للخلافة العربية الاسلامية. وسيطرت شخصيات فارسية عديدة على المنـاصب الادارية في العـراق اختارها عميل المغول نصرالدين الطوسي منها صاحب الديوان ببغـداد فخـرالدين الدامغـاني وشحنـة بغـداد عـلي بهـادر

وفخر الدولة اليهودي صاحب ديوان العراق سنة ٦٨٨هـ وعلاء الدين الجويني وأخيه شمس الدين وسعد الدين القزويني وابن العلقمي وإذا كان التحالف الفارسي — اليهودي قديم في جذوره التاريخية.. فقد وجد هذا التحالف في العصر المغولي فرصة لتجديده. فقد اعتمد المغول في الادارة على الفرس واليهود الذين احتلوا مراكز الصدارة في الادارة وبدأوا يخططون للنيل من العروبة والاسلام.

لقد أشرنا الى ان رأس الحربة في حملة هولاكو على بغداد هو نصر الدين الطوسي الفارسي ومعه صاحب اقليم فارس وصاحب اقليم لورستان. كما لاحظنا ان هولاكو عين العديد من الفرس واليهود في الادارة ببغداد وكذلك فعل بعد احتلاله دمشق وحماة. بل ان اليهود وصلوا الى منصب الوزارة في عهد الإيلخان ارغون سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م حين أصبح سعد الدولة اليهودي وزيراً وعين أخاه والياً على العراق وأخاه الثاني والياً على الموصل وماردين وديار بكر.[٥٦]

ورغم اعتناق المغول للاسلام سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م على عهد غازان فان ذلك لم يغير كثيراً من سياستهم تجاه العراق والعرب بل ظلت « العقدة الفارسية » هي المتغلبة على الحكّام المغول فاستمروا في عدائهم للدولة الاسلامية في مصر والشام وانتهاج سياسة عدائية ضدها ، وفرضوا العزلة التامة بين المشرق الاسلامي والمغرب الاسلامي. ولا شك فان هذه القطيعة قد أثرت في العراق بصورة خاصة بوصفه أحد الأقاليم العربية المرتبطة طبيعياً ببلاد العرب لا بلاد فارس. وقد تعرض العديد من الشخصيات في العراق

الى السجن والانتقام بسبب اتهامها بالاتصال بحكّام الشام ومصر.

إن القطيعة بين المشرق والمغرب أثرت بدرجة ملحوظة في اللغة العربية وانتشارها في المشرق الاسلامي بل انه كان بمثابة كارثة حلت بالعربية هناك. فقد ظهرت العديد من الكتب الفارسية كما ظهر شعراء كتبوا بالفارسية ولهذا يقول براون[٥٧] ان اللغة العربية قد تلقت في هذا العصر ضربة قاصمة حيث اقتصر استعمالها على الفقه والفلسفة بل اننا مع نهاية القرن السابع الهجري لم نعد نصادف إلا النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها في إيران.

وتبدو عمليات التخريب التي سببتها « العقدة الفارسية » في مجال الفكر الديني وفي محاولة شق الجماعة الاسلامية عن طريق الطائفية والمذهبية. فقد شهّر عزالدين ابن كمونة اليهودي سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م بالنبوة والأنبياء وبرسالاتهم بكتابه « الملل الثلاث » كما حرّض آخرون الإيلخان اولجاتيو بالسير الى مكة والمدينة وتخريبهما.

لقد تحول الاسلام عند المغول ، وبتأثير الفرس واليهود الى مجوسية مقنعة حين غدا الإيلخان آرغون نبياً بل ان الوزير سعد الدولة اليهودي أقنعه بان روح الله تجسدت فيه ولابد للرعية من أن تعبده !! وبهذا غدا الاسلام مجوسية تدعو الى عبادة الفرد وفناء الارادة الانسانية في ارادة الإيلخان الإله باعتباره روح الله !! وهناك الكثير من الفرس من أمثال الطوسي الذين ابتدعوا التبريرات لأعمال المغول مستندين الى تفسيرات خاصة بهم لآيات القرآن ،

بل ان هناك مَنْ وصف المغـول بأنهم « غضب الله وسـوطه وارادتـه عـلى البشر » ووصف نصـرالدين الطوسي دولتهم « بالدولة القاهرة الإيلخانية » محذراً كل من يقاومها من أهل العـراق بـالويـل والثبـور !! ولا شـك في ان هـذه الأفكـار والتخريجات ليست غريبة على البيئة الايرانية منـذ العصور الفرثية والساسانية وعبر العصر الاسلامي.

لقد استطاعت البيئة الايرانية ان تؤثر في هؤلاء المغول ولذلك يمكن القول بان إيلخانات إيران غدوا حكّاماً اقليميين مرتبطين بإيران يدبرون أمـورهم دون الرجوع الى عـاصمة المغول في (قراقورم) خاصة بعد وفاة آباقا بن هولاكو سنة ٦٨٠هـ/ سنة ١٢٨١م ، ويعتبر بعض المؤرخين هـذه السنة حداً فاصلاً بين الدولة المغولية التقليدية « المرتبطة بقراقورم وبين الدولة الإيلخانية « الايرانية » التي ، رغم إسلامهـا ، تقمصت « العقدة الفارسية » معاديـة بلاد العـرب. والدليل على ذلك استمرار تحالف الدولة الإيلخانية في إيران مع أعداء العـروبة والاسـلام الصليبيـين في بـلاد الشـام وفي اوربـا فلم يمنعهم إسلامهم من استمرار النقمة والعداوة ضد مصر والشـام فقـد تعهـد الإيلخـان غـازان المسلم بـالتعـاون مع الصليبيين واعطائهم فلسطين تماماً كمـا تعهد الإيلخـان اباقا الوثني سنة ١٢٨٠م/ ٦٧٩هـ بتسليمهم القدس !![٥٨]

على اننا ونحن نختتم كلامنا على الاحتلال المغولي للعراق وأجزاء أخرى من أرض العروبة نقـول بأن هـذه الأساليب مثلها مثل سابقاتها لم تُجد نفعاً ولم تؤتِ بجديد بل ان أهل العراق المتحضرين أثروا في المغول تـأثيراً واضحـاً فانـدمج

هؤلاء بالمجتمع وتقبلوا بمرور الزمن تقاليده ومُثله وحضارته التي هي أرقى من مستـواهم دون شك ولذلك فيمكن القـول ان أهل العراق الذين خسروا المعركة مع المغول عسكرياً فانهم انتصروا على المغول في الصراع الحضاري والثقافي مما أدى الى انـدماج المغـول في البيئة العـراقيـة ، وقـد عبّـر الحكم الجلائري الجديد الذي أعقب سقوط الحكم الإيلخاني المغولي سنـة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م عبّـر عن هـذا الانتصـار العـراقي على إيران الإيلخانية حين أعلن الجلائريون استقلالهم بالعراق عن الإيلخانيين واعـادة بغداد الى مـركزهـا عاصمـة للدولة الجـديدة التي شملت العـراق والجزيـرة الفراتيـة والجبـال واذربيجـان. واهم من هـذا كله اعـادة العـراق الى وضعـه الطبيعي باعادة ارتباطه بأقاليم العروبـة الأخرى في جـزيرة العرب والشام ومصر. فقد خطب الجلائريون للسلطان المملوكي سلطان مصر وبلاد الشام وضربوا السكة باسمه في بغداد.

الخاتمة :

إن الباحث المحقق يكاد يحار من كثرة تكرر الاعتداءات الفارسية على النطاق السياسي العسكري خلال الحقبة العباسية. ففي الثلاثة قرون بين سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م وهي بداية الضعف في الخلافة العباسية وسنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م الاحتلال المغولي للعراق وقع ما لا يقل عن عشرة اعتداءات عسكرية على العراق هي :

اعتداء الصفّاريين – اعتداء الزياريين – اعتداء البريديين – اعتداءان لمعزالدولة البويهي – اعتداء عضدالدولة البويهي – اعتداء السلاجقة – اعتداءات للخوارزمية – اعتداء المغول. هذا بغض النظر عن المحاولات الأخرى للعدوان التي اعتبرناها تافهة ولا قيمة لتسجيلها. ولا شك فان المحرك الرئيس للعدوان هو « العقدة الفارسية » تجاه العراق وأرض العروبة. ولكن ما هي الأسباب الجوهرية وراء هذه العقدة ؟

يعزو عدد من المؤرخين سبب العقدة العدائية الفارسية تجاه العروبة الى المستوى الحضاري عبر التاريخ للأمة العربية وللحضارات الراقية التي نمت في الوطن العربي ذلك المستوى الذي لم تصله حضارات بلاد فارس عبر تاريخها. فكان طبيعياً أن تتأثر الحضارة الفارسية بالحضارة العربية وأن تكون الأولى متلقية ومتأثرة بالمظاهر الحضارية المختلفة المشعة من الثانية. ان احساس الفرس بتخلفهم تجاه الفعل الحضاري النابع من الوطن العربي انعكس على شكل رد فعل غير حضاري نحوه استهدف معالم الحضارة بالفعل العسكري.

لقد كافأ الفرس التأثير الحضاري العربي بالفعل العسكري حيث احتل كورش الاخميني سنة ٥٣٩ق.م العراق وأتبع ذلك الأكاسرة من بعده باحتلال أجزاء من البحرين وعُمان واليمن وظلت هذه الأجزاء العربية محتلة طوال العهد الاخميني الفرثي والساساني. فكان رد فعل عسكري على فعل حضاري.

ولكن عرب العراق وسائر الأجزاء المحتلة من الوطن العربي لم يستكينوا فكانت العلاقات يسودها التناقض والتوتر المستمر وتلقن الفرس دروساً قاسية في معارك متتالية مع العرب أمثال معركة الصفقة في البحرين ومعركة قلهات في عُمان ومعركة ذي قار في العراق.

ثم جاء الاسلام وكان عصر الفتوحات الاسلامية حيث كان العراق الساحة التي تلقى فيها الفرس الهزائم تلو الهزائم عسكرياً والميدان الذي انهزم فيه الدين الزرادشتي عقائدياً.

فالعراق كان حجر عثرة أمام طموحات الفرس في الوطن العربي ومخططاتهم غير المشروعة لايجاد موطىء قدم لهم في الخليج العربي والهلال الخصيب موطن الحضارة والتجارة الدولية قبل الاسلام.

أما في العصر الاسلامي فقد غدا العراق ،بعد ان كان اقليماً محتلاً وتابعاً للساسانيين ، غدا قاعدة للعمليات العسكرية في كل بلاد فارس ثم برز دوره الطليعي في ادارة اقاليم بلاد فارس بعد فتحها حيث كان ولاة العراق يعينون ويعزلون أمراء بلاد فارس ويعتبرون مسؤولين أمام الخلافة المركزية. عن بلاد فارس..

الا يكفي هذا سبباً لاثارة الحقد الفارسي الدفين من جديد

ضد العراق والوطن العربي..؟ ولعل الرواية التاريخية التالية تصور حالة الفرس أدق تصوير حين تقول :

«.. إن الفرس كانوا في سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم.. فلما امتحنوا بزوال دولتهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل خطراً تعاظم الأمر وتضاعفت المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة ».[٥٩]

فإذا كان السبب الأول حضارياً فان السبب الثاني للعقدة الفارسية يكمن في ظهور الاسلام بين العرب وفي جزيرة العرب وعزة العرب بالاسلام وحملهم هذه الرسالة السماوية الى شعوب العالم ، فكان عصر الفتوحات الاسلامية الكبرى حيث برز دور العرب المسلمين كمنقذين للبشرية وبرز دور العراق الطليعي في الفتح وادارة أقاليم المشرق وخاصة بلاد فارس.

أما السبب الثالث فيعود الى التناقض الواضح في القيم والـمُثُل والمفاهيم بين العرب والفرس وقد برز ذلك بشكل مكشوف في عصر الازدهار الحضاري حيث كان الصراع بين العروبة والاسلام من جهة وبين الشعوبية من جهة أخرى ينصب في جوهره حول ماهية المفاهيم والقيم والنظم التي يجب أن تسود في المجتمع. هل ستكون عربية إسلامية أمْ فارسية مجوسية ؟

ولعل السبب الرابع في اثارة الحقد الفارسي هو النمط السياسي الذي ساد بلاد فارس في العصر الاسلامي وخاصة في العصر العباسي وما بعده. فالمتمعن في خارطة إيران السياسية في تلك الحقبة يلاحظ عدداً من الامارات الاقليمية

المتناحرة. وقد استغل أمراء هذه الامارات « العقدة الفارسية » من أجل استمرار بقائهم في السلطة ولتبرير توسعهم الاقليمي في بلاد فارس على حساب الامارات الفارسية الأخرى ولكسب تأييد الفرس وولائهم.

وبكلمة أخرى فان العدوان ضد العراق وأقاليم الوطن العربي غدا وسيلة ليس إلا لغاية مهمة وهي زيادة سلطة الأمير الفارسي واتساع نفوذه داخل إيران نفسها. وبهذا أصبح الالتزام بمنهج العدوان على العراق والوطن العربي سياسة دائمية لكل حكّام بلاد فارس ، وهذا ما يفسر التزام حكّام إيران من غير الفرس بهذه السياسة نفسها مثل السلاطين السلاجقة والخوارزمية والإيلخانات المغول. وكل هؤلاء ليسوا فرساً ولكنهم حين حكموا إيران تبنوا موقفها العدائي تجاه العراق والخلافة العباسية. والى هذا يشير الدكتور محمد شعبان حين يتكلم على السلاجقة والمغول فيؤكد انهم حين حكموا إيران أتاحوا للايرانيين وخاصة أهل فارس مجال تأكيد سيطرتهم على العراق وبذلك ساعدوا على دعم الادعاءات والمزاعم الايرانية.

وإذا كان هذا النهج العدواني في سياسة حكّام بلاد فارس قد استمر طيلة العصور الوسطى الاسلامية فانه ينطبق كذلك على السياسة الايرانية في العصر الحديث والمعاصر. وبهذا الشأن يقول الدكتور عماد عبدالسلام :[٦٠] « وكان التوسع الخارجي بحد ذاته يقدم مبرراً قوياً لسياسة التوسع الداخلي بضم القوميات غير الفارسية في إيران تحت قبضة حكومة مركزية قوية » ، وبعد فهذه هي الجوانب السياسية

والعسكرية للعقدة الفارسية.. على ان لهـذه العقدة جـوانب أخرى فكرية وثقافية ومذهبية ورغم ان هذه الجوانب لا تدخل ضمن نطاق هذا البحث ، فاننا نشير هنا الى محاولات فارسية للتميز والانفصال وشق طريق مغاير أو مخالف للخلافة العربية الاسلامية تتمثل في محاولة السامانيين الجادة لخلق نهضـة ثقافية وأدبية فارسية تستند الى اللغة الفارسية والفكر الديني المجوسي. ومحاولة الطبريين والبويهيين والحشيشية خلق مذهب خاص بهم (الطبريون زيدية والبويهيون اثنا عشرية أو زيدية والحشيشيـة اسماعيليـة نزاريـة) يخالف مـذهب الخلافـة عقائدياً ويعاديها سياسياً. ومحاولة الفرس بالتعاون مع اليهود مسخ الاسلام وتشويهه في العصر الإيلخاني المغولي حيث أتاح لهم هـذا النـظام حـريـة العمـل في العـراق وبـلاد فـارس. على ان لهذه الجوانب قصة طويلة أخرى.

الهوامش :

(١) تاريخي سيستان ، للمؤلف المجهول... تحقيق بهاء ، طهران ١٣١٤هـ
كذلك نولدكه ، Sketches from Eastern history ، لندن ١٩٨٢ B. Spuler
iran in fruh —— Islamischen Zeit, Wiesbaden, 1952.

(٢) S. M. Stern, Ya'qub the Copper Smith... iran Islam ed. C.E. Bosworth, Edinburgh, P. 534.

(٣) راجع قصيدة ابن ممشاد في تمجيد يعقوب الصفار في معجم الأدباء لياقوت ، طبعة مرجليوث ص ٣٢٢ ــ ٣٢٤.

(٤) حول موقف الخلافة راجع : الطبري ، تاريخ جـ١١ ص ٢٤٦ طبعة القاهرة.
كذلك ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٢ ص ٣١٢ فما بعد.

(٥) راجع : قاسم عباس السامرائي ، الموفق طلحة... اطروحة ماجستير ، جامعة بغداد ، سنة ١٩٨٧. ص ٣١٠.

(٦) نجدة خماش ، الادارة في العصر الاموي ، ص ٨٧.

(٧) فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، بغداد ١٩٨٧ ، منشورات دار الحكمة ، ص ٣٣٢.

(٨) راجع : الفصل الثالث من كتاب الصراع العراقي الفارسي ، تاليف نخبة من الباحثين ، اصدار وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٣.

(٩) حول نشاط البريديين راجع : مسكويه ، تجارب الأمم ، جـ٢ ص ٨٣ فما بعد
ابن الأثير ، الكامل ، ج٨ ص ١٠٩ ــ ١٢٧.
فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٩٦.

(١٠) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٨ ص ١٦١

(١١) M. Kabir, The Buwayhid dynasty of Baghdad, Colcutta, 1964 PP. 42 —

68.

(١٢) المنتظم لابن الجوزي ، جـ٧ ص ٨٨

الدوري ، العصور العباسية المتاخرة ، بغداد ، ١٩ ص ٢٣٧ ، ٢٧٨ ــ ٢٨٢.

(١٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، جـ٢ ص ٣٣١

ابن الأثير ، الكامل ، جـ٨ ص ٤٧٣

١٤ـ راجع فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ، ١٩٧٠ .

(١٥) Armajani, The Saffarids... i.c.o., P. 172 —— 173

(١٦) د. محمد عبدالحي شعبان ، التاريخ الاسلامي ، (مترجم) جـ٢ ص ٧٨.

(١٧) راجع حسن احمد محمود ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٨٣ فما بعد.

(١٨) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٨ ص ٧١.

(١٩) فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، الشارقة ، ١٩٨٣ ص ٨٢.

(٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٨ ص ٢٨٧ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ١٠ ص٥٠.

(٢١) المصدر السابق جـ١٠ ص ٥٠

(٢٢) المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٦٦ ــ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٥.

(٢٣) ابن الأثير ، جـ٨ ص ٨٤.

فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، ١٩٨٣ ص ٨٨ ــ ٨٩.

(٢٤) عن ردود الفعل العربية تجاه النفوذ السلجوقي راجع المصدر السابق ص ٩٩ ــ ١٠٣.

(٢٥) حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٣٣.

(٢٦) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ،

ص٨٠ ، ص ٩٩ فما بعد.

(٢٧) حسين امين ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

(٢٨) الراوندي ، راحة الصدور ، تعريب الشواربي ، القاهرة ، ص ٥٣٤.

(٢٩) ابن الاثير ، جـ٩ ص ٢٤١.

(٣٠) السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ص ٣٣٠.

(٣١) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ٢ ص ٩٥ فما بعد.

(٣٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، جـ٢ ص ١٢١ فما بعد طبعة ليدن.

(٣٣) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧.

(٣٤) نافع توفيق ، الدولة الخوارزمية ، ص ٩٨ ــ ١٠٠.

(٣٥) ابن الاثير ، جـ٩ ص ٣١٣.

(٣٦) راجع : نافع توفيق ، المصدر السابق ، ص ٨٤.

(٣٧) الراوندي ، المصدر السابق ، ص ٥٥٢ فما بعد.

(٣٨) راجع كتابنا : الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ص ١٠٥ ،

القزاز ، ص ٣٢٩

جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول ص ١٤.

(٣٩) القزاز ، ص ٢٣٤.

(٤٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ص ١٠٥.

(٤١) ابن الاثير ، جـ٩ ص ٣٥٨ فما بعد.

(٤٢) نافع توفيق ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨.

(٤٣) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٩٣.

(٤٤) ابن الاثير ، جـ٩ ص ٣٥٩ فما بعد.

(٤٥) ابن الاثير ، جـ١٢ ص ٢٣٥. ــ رشيد الدين ، جامع التواريخ ،

مجلد ٢ جـ١ ص ٢٦١ فما بعد.

(٤٦) النسوي ، سيرة جلال الدين ، ص ٣٨.

(٤٧) خصباك ، المصدر السابق ، ص ٨٤.

(٤٨) ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص ٣٢٩ فما بعد.

(٤٩) القزاز ، ص ٣٠٢.

(٥٠) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ٨٩.

(٥١) رشيدالدين ، م٢ جـ١ ص ٣١٩.

(٥٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٤٥.

(٥٣) ابن الأثير ، جـ٩ ص ٣٦٤.

(٥٤) المصدر السابق ، جـ٩ ص ٣٣٠ ، ٣٣٦ يقول ابن الأثير :
« يَسِّر اللهم للمسلمين والاسلام مَـنْ يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم ومن الملوك المسلمين مَـنْ لا تتعدى هَمّته بطنه وفرجه »

(٥٥) راجع : خصباك ، العراق في عهد المغول بغداد ، ١٩٦٨. ص ٢٦ ــ ٤٣
فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، بغداد ١٩٨٣ ص ١٢٦ فما بعد.

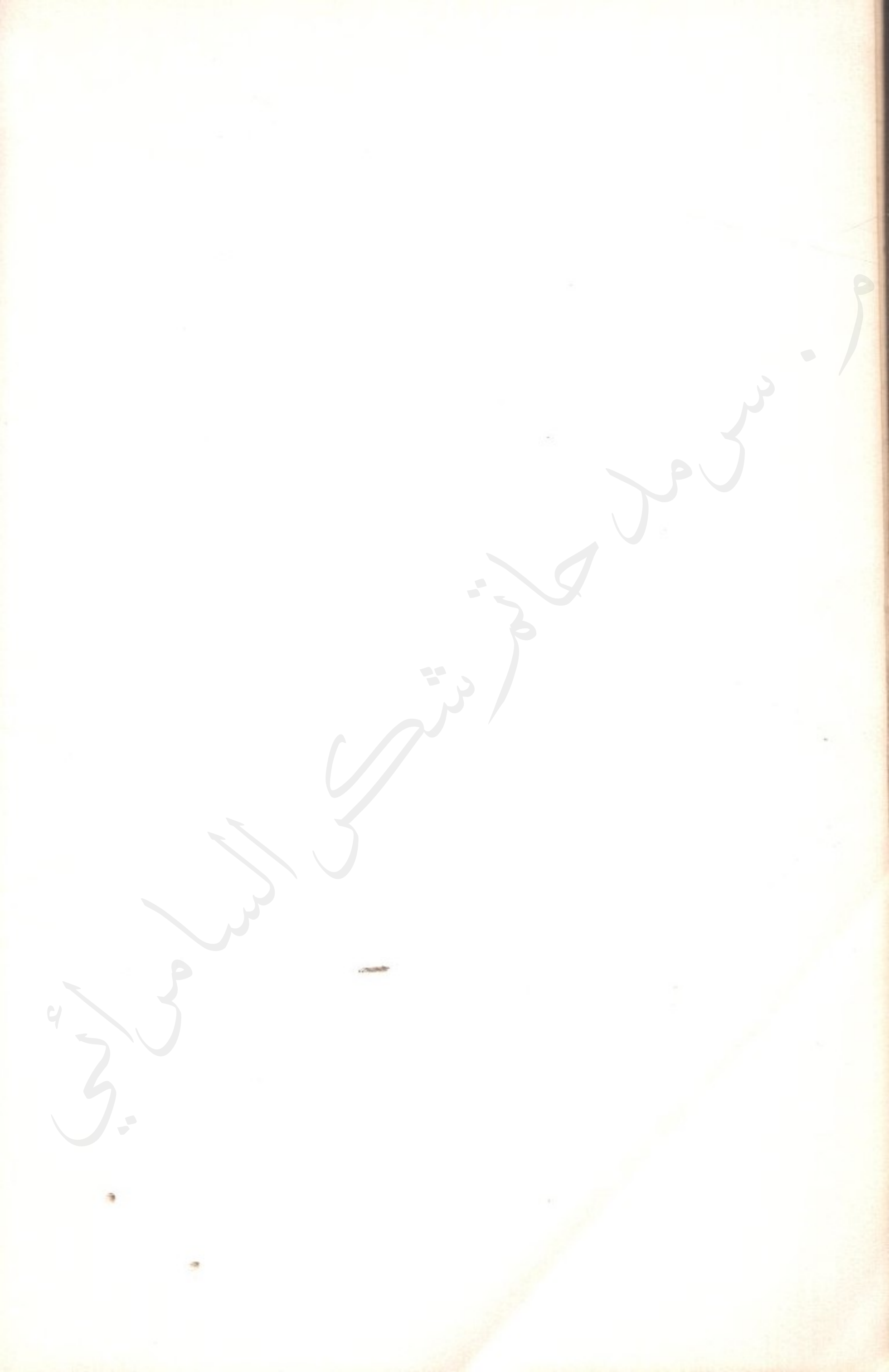
(٥٦) Howarth, History of the Mongols, New York, 1888, P. 72 — 76.
فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، بيروت ١٩٦٠ ص ١٦٨.

(٥٧) Browne, A Literary history Of Persia, Cambridge, 1909 — 1930.

(٥٨) حول هذه الاجراءات راجع :
محمد عبدالهادي شعيرة ، تاريخ المغول والدول الاسلامية الآسيوية ، ١٩٦١ ص ١١٢ فما بعد.
العراق في التاريخ ، تاليف نخبة من الباحثين ، اصدار وزارة الثقافة ، بغداد ، ١٩٨٣ ص ٥٤٩.

(٥٩) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ص ٣٦٢ ، ابن حزم ، الفصل في الملل.. جـ٢ ص ٩١.

(٦٠) د. عماد عبدالسلام رؤوف ، مقدمة كتاب الصراع العراقي ــ الفارسي ، ص ١١ ــ ٢٠.

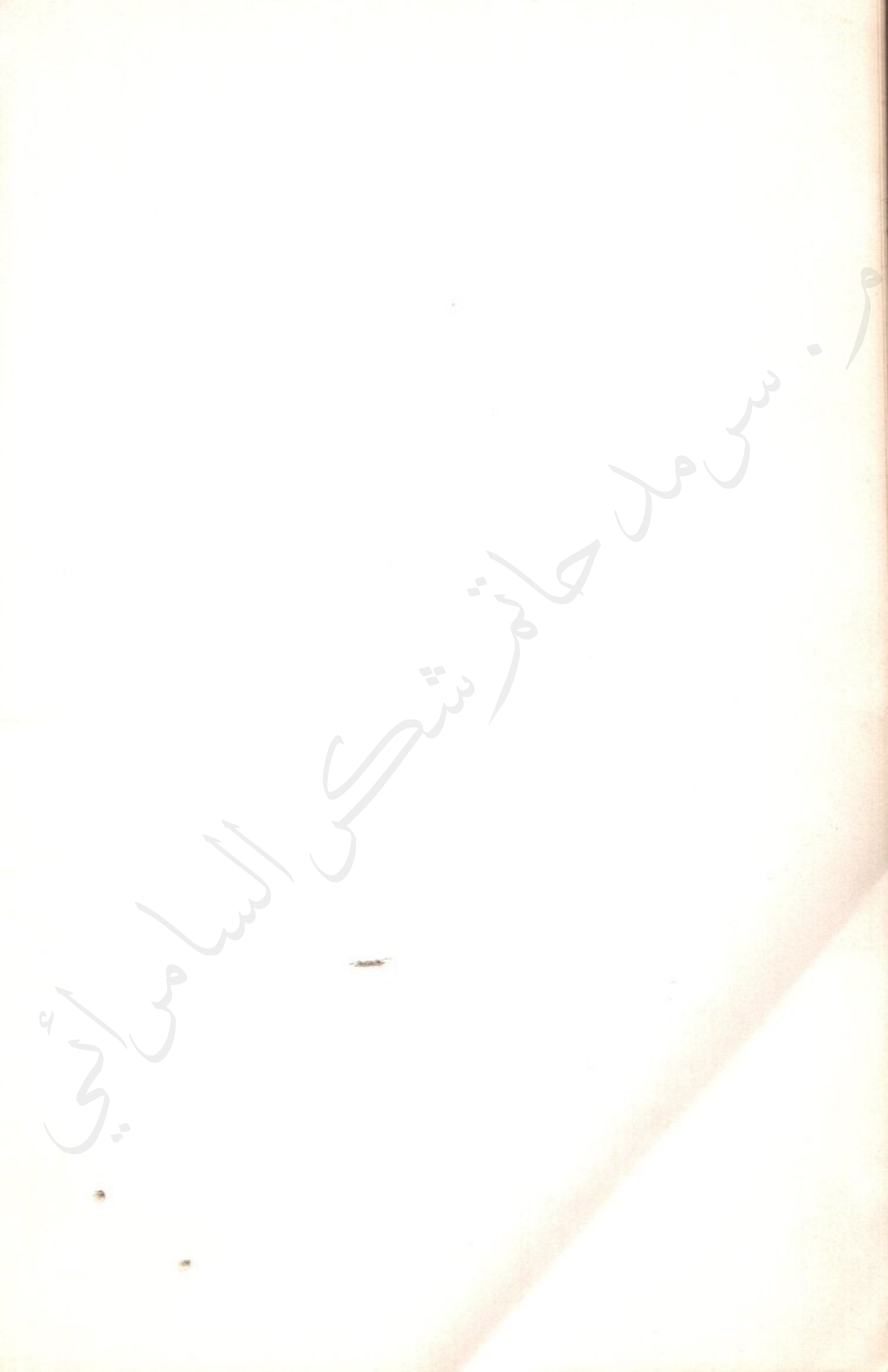


المصادر :

ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٧٨
ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، طبعة الهند ١٩٦٨
البلاذري ، فتوح البلدان ، مصر ١٩٥٧
الجاحظ ، جميع كتبه ورسائله
ابن خياط ، تاريخ ، بغداد ١٩٦٧
الدينوري ، الأخبار الطوال ، مصر ١٣٣٠هـ
الطبري ، تاريخ ، مصر ١٩٦٦م
اليعقوبي ، بغداد ، ١٩٦٤م
ابن خلدون ، العبر ، بيروت ١٩٤٩
ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة (منسوب اليه) بغداد ١٣٥١هـ
ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصر ١٣٥٨هـ
رشيدالدين فضل الله ، جامع التواريخ (معرب) القاهرة ١٩٦٠

المراجع :

الدوري ، عبدالعزي : دراسات في العصور العباسية المتاخرة ١٩٤٥
مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، بيروت ١٩٦٦
عمر ، فاروق : الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، الشارقة ، ١٩٨٣
الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، بيروت ١٩٨٠
مصطفى طه بدر : مغول إيران.. القاهرة. بلا.



رقم الايداع ٦٥٧ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٨

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم

السعر : ٥٠٠ فلس

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة